مسلسل
العلاقات المغربية الاسرائيلية

وآثارها على القضية الفلسطينية

ملف الجسور المفتوحة مع الكيان الصهيوني منذ عام 1956

مركز ابن رشد للدراسات والتفاعل الثقافي

الصورة على الغلاف

من اليسار الى اليمين : الوزير المغربي احمد العلوى، ادغار برونفمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمي، ليليان شالوم الرئيسة السابقة للفيدرالية اليهودية الامريكية، وزوجها ستيف شالوم نائب رئيس المنظمة الصهيونية "جوانت امريكان كوميتي" في لقاء اثناء المؤتمر الصهيوني بالرباط ـ ماى ١٩٨٤.

مسلسل
العلاقات المغربية الاسرائيلية

وآثارها على القضية الفلسطينية

ملف الجسور المفتوحة مع الكيان الصهيوني منذ عام 1956

مركز ابن رشد للدراسات والتفاعل الثقافي

اكتوبر 1986

مقدمة

لقد جاءت زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلي شمعون بيريز الى المغرب في ٢٣/٢٢ يوليو من هذه السنة تتويجا لمسلسل طويل من الارتباطات مابين قادة الكيان الصهيوني والنظام المغربي. وقد شهدت السنوات الاخيرة على وجه الخصوص تكثيفا متميزا للاتصالات والزيارات والاجتماعات، السرية منها والعلنية، مابين السلطات المغربية ورموز الحركة الصهيونية العالمية بشكل عام واسرائيل بشكل خاص. وليس من قبيل الصدف أن يتزامن تكثيف العلاقات المغربية الاسرائيلية هذا مع تركيز وتقوية الوجود الامريكي المتعدد الاشكال في المغرب.. فالقاعدة التي تقوم عليها تلك العلاقات بالذات هي قاعدة التحالف بين النظام المغربي والامبريالية الامريكية والغرب على وجه العموم.

على أن لهذه العلاقات نفسها بعض المميزات الخاصة بل والمثيرة: فنحن أمام ثلاثين عاما من الارتباطات والاتصالات والخدمات المتبادلة على مختلف المستويات، بدءا من النشاط اليومي الذى يخوضه اليهود "المغاربة" لخدمة الصهيونية، وصولا الى لقاءات القمة، مرورا بشتى أدوار الوساطة والتحضير التي

ماانفك النظام المغربي يتولى القيام بها قبل وبعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد على السواء .

وقد اعتمدنا في وضع هذا الملف الوثائقي منهج الرصد والتتبع التاريخي لوقائع العلاقات المغربية الاسرائيلية ومراحل تطورها ، مرتكزين في ذلك أساسا على المادة الوثائقية المتوفرة من مذكرات ومقالات ومقابلات صحفية.. وقد ثبتنا لائحة هذه المراجع في نهاية الملف لمن يهمه الاطلاع عليها مباشرة. ولاشك أن العناصر التي أمكننا التقاطها من هذه المصادر لاتعكس الا جزءا من مجموع الملف الذى لازالت لم تتكشف كل جوانبه بعد. لكن ماتوخيناه بالدرجة الاولى هو تجميع أهم ما هو معروف لحد الان عن علاقات النظام المغربي بالكيان الصهيوني ، واعادة تركيب صورة كانت حتى الان مجزأة ، وهذا ماسيسمح بتدقيق النظرة الى أبعاد وامتدادات التوغل الصهيوني في بلادنا ووطننا وما يفرضه من مهام ازاء الشعبين الفلسطيني والمغربي وازاء القضية العربية بشكل عام .

١ـ السوابق التاريخية

تهجير اليهود المغاربة الى فلسطين المحتلة

لم تتوقف السلطات المغربية منذ ١٩٥٦ عن تسهيل وتشجيع هجرة اليهود المغاربة نحو فلسطين المحتلة، مواصلة منها لعمل السلطات الاستعمارية الفرنسية التي شرعت في عمليات التهجير تلك منذ انشاء الكيان الصهيوني في العام ١٩٤٨ ..بل ان انتقال المغرب الى الاستقلال الرسمي قد رافقه تكثيف منهجي لتهجير اليهود، قياسا بسنوات الاستعمار نفسها، وهذا على الرغم من كل القرارات الصادرة عن القمم العربية وغيرها ، والتي كانت تطالب بلدان العالم بوقف هجرة اليهود القاطنين بها الى فلسطين المحتلة.

وهكذا تم ترحيل حوالي ٠٠٠ ٧٦ يهودى مغربي في الفترة مابين ١٩٥٦ و ١٩٦٢ بمساهمة مباشرة من مسؤولي الدولة المغربية. وقد كشف ساموبل سيكيف في كتاب له بعنوان "عملية ياخين" بعض أسرار هذه العملية الخبيثة التي مولتها كل من الوكالة اليهودية والدولة الصهيونية نفسها، وقام بتنفيذها تنظيم خاص أسسه جهاز المخابرات الاسرائيلية (الموساد) في المغرب وأطلق عليه اسم "النطاق" (ميزكيريت) وكان عبارة عن شبكة ارهابية واسعة تؤطرها عناصر عالية الخبرة وعميقة التصهين في الجهاز المذكور حظيت بتواطؤ ورعاية السلطات المغربية. ويذكر أحد مسؤولي الموساد أن الخلايا السرية لهذا التنظيم كانت تضم

نحو ٦٠٠ يهودى متصهين كانوا يتلقون تدريبات عسكرية في الجنوب الفرنسي. وكان "النطاق" تنظيما ارهابيا مذهلا، ليس فقط بنوعية عناصره وطرق تنظيمه واتساع شبكته وضخامة امكانياته وتجهيزاته، بل أيضا بالصلات والعلاقات التي كانت لديه داخل الاجهزة المغربية والتي كانت تمنح عملياته غطاء واقيا وتتدخل في اللحظات الحرجة لانقاذ عملائه..الى درجة أن "النطاق" تمكن من وضع خطة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر عندما كان هذا الاخير في زيارة رسمية للمغرب في شهر يناير ١٩٦١ (١).

وحتى منتصف العام ١٩٦١، كان تهجير اليهود المغاربة الى الارض المحتلة يمر بطرق شبه سرية عبر شبكات داخلية لها مراكز في المدينتين المغربيتين المحتلتين سبتة ومليلية وعلى شاطئ الحسيمة، تستأنف نقلهم الى الجنوب الفرنسي حيث تتولى وسائل النقل البحرى والجوى الاسرائيلية ايصالهم الى فلسطين المحتلة. وبعد ذلك، صار تهجير اليهود المغاربة علنيا ومكشوفا، حيث أجرى جهاز "النطاق" عام ١٩٦١ في باريس مفاوضات سرية مع مبعوثين مغاربة انتهت الى اقامة جسر جوى بين الدار البيضاء ومرسيليا لتهجير اليهود..وكان ذلك مساهمة مباشرة من السلطات المغربية في دعم الاستيطان الصهيوني لفلسطين.

جهاز الموساد يضع أسس المخابرات المغربية

في مطلع الستينات، ساعدت المخابرات الاسرائيلية السلطات المغربية على تكوين جهاز مخابراتها. وهكذا توجهت عناصر من الموساد الى المغرب بطلب من هذا الاخير وأشرفت على وضع الاجهزة وتدريب عناصرها وفق أحدث الطرق. "وأثناء تأدية هذه المهمة، تمكنت اسرائيل من التغلغل داخل عدة أجهزة مخابرات عربية في المغرب. وقد ساعد ذلك اسرائيل في الحصول على معلومات قيمة في الايام التي سبقت حرب يونيو ١٩٦٧" (٢).

وقد بلغ التنسيق بين الموساد والمخابرات المغربية ذروته أثناء التحضير لاختطاف القائد المغربي المهدى بنبركة في نهاية شهر أكتوبر ١٩٥٦. ويؤكد أحد محررى الصحيفة البريطانية "دايلي ميل" أن وزير الداخلية المغربي آنذاك، الجنرال أوفقير، قد طلب من مدير الموساد، ماييير أميت، تحضير الشروط الضرورية

لنجاح عملية الاختطاف (٣). ومن المعروف أن المهدى بنبركة كان يبذل نشاطا دوليا فائقا لدعم القضية الفلسطينية وتنسيق مواقف ونضالات حركات التحرر في القارات الثلاث ضد الصهيونية والعنصرية والهيمنة الامبريالية، كما أنه بذل مجهودا مرموقا من أجل دراسة وفضح طبيعة وأهداف اسرائيل، خاصة في افريقيا، حيث أعد تقريرا شاملا حول "اسرائيل في افريقيا" قدمه في ندوة فلسطين العالمية التي انعقدت بالقاهرة من ٣٠ مارس الى ٦ أبريل ١٩٦٥.

وقد أشار محمد حسنين هيكل الى بعض جوانب العلاقات القائمة مابين المخابرات المغربية والاسرائيلية، حيث يؤكد أن "نادى سافارى" المغربي وأجهزة المخابرات المتعاونة فيه قد اتصلوا في بعض المناسبات بالمخابرات المغربية. ونادى سافارى هذا جزء من مؤسسة عالمية لعبت المخابرات الامريكية والموساد الاسرائيلية دورا أساسيا في انشائها وتنظيم نشاطاتها المعادية لحركات التحرر (٤).

وسيكتشف فيما بعد أن التعاون بين السلطات المغربية واسرائيل في مجال تبادل الخدمات والخبرات قد وصل حد شراء المغرب دبابات اسرائيلية من نوع "أ.ام.اكس" وطائرات من طراز "فوغا ماجيستر"، وذلك عن طريق نظام جنوب افريقيا العنصرى (٥).

حزيران ٦٧: البواخر الاسرائيلية تتزود في موانئ المغرب

في نطاق هذه الخدمات المتبادلة، سمحت السلطات المغربية لاسرائيل بأن تستعمل التراب المغربي كمحطة عبور لنشاطاتها العدوانية ضد البلدان العربية. ففي أثناء حرب حزيران ١٩٦٧، سمحت للبواخر الاسرائيلية أن تتزود في الموانئ المغربية، كما كانت القواعد العسكرية الامريكية القائمة في المغرب تزود أيضا العدو الصهيوني بالعتاد والذخيرة.

ولعل أبشع ما لقيه المواطن المغربي من اهانة وجرح للكرامة هي تلك الاحداث التي تلت حرب ٦٧. فبمجرد ما تأكد الصهاينة "المغاربة" أن "دولتهم" انتصرت في المعركة واحتلت الاراضي والمدن العربية، حتى نزلوا الى الشوارع وأخذوا يحتفلون أمام الملا، يخمرون ويرقصون ويقيمون مشاهد استفزازية كثيرة ويجرحون كرامة المغاربة بالسخرية اللاذعة على مرأى ومسمع من الشرطة المغربية. وكل مغربي أراد وضع حد لتلك الاستفزازات وجد نفسه معتقلا عند الشرطة ومهانا

وأغلبهم تعرض للسجن.. لقد وقفت الشرطة والعدالة المغربية الى جانب الصهاينة!

وبعد حرب ٦٧، أعلنت المعارضة المغربية عن وجود تأثير صهيوني قوى في شركات التجارة الخارجية المغربية. ودعت صحيفة "العلم" في ذلك الوقت الى مقاطعة اليهود الذين لهم علاقات مع اسرائيل وحلفائها، وطالبت بمقاطعة بعض الشركات المغربية التي تتعامل مع اسرائيل. وأدى هذا الموقف الى نشر الخوف في أوساط يهود المغرب، مما دفع بالسلطة الى أن تقدم على اغلاق الصحيفة لمدة يومين وتصدر بيانا يؤكد "حماية اليهود وحفظ حقوقهم بالمغرب" (٦).

وعن مدلول الوقائع التي طبعت تلك المرحلة، كتب الشهيد محمد بنونة يقول: "ان الامبريالية نجحت الى حد كبير في ربط دول المغرب العربي باستراتيجيتها، ومن أهم نجاحاتها فصل أقطار المغرب العربي عن معركة المصير ضد الاستعمار الصهيوني. لقد لمست الامبريالية مواطن الضعف عند الحكام بأقطارنا لاحتياجهم الى الرساميل والخبرة الفنية والتجهيز، واستعدادهم للتنازل عن بعض القضايا المبدئية وجزء من المصالح الوطنية مقابل الحصول على مايحتاجون اليه، فجعلت من "حياد" دول المغرب العربي في الصراع ضد الصهيونية أحد الشروط لتقديم المساعدات..وعندما قبل حكام المغرب العربي هذا "الحياد"، فان الامبريالية تعطي بسخاء" (٧).

والواقع أن الامر بالنسبة للسلطات المغربية قد تجاوز بكثير مجرد موقف "الحياد"، فبعد حرب ٦٧ تواصل تهجير يهود المغرب بوتيرة أسرع من السابق، حيث كانوا يحصلون ــ دون المسلمين ــ على جواز السفر وعلى رخصة نقل ثرواتهم الى الخارج. وهكذا هاجرت الالاف من العائلات اليهودية الى الارض المحتلة، بشكل منظم وواضح للعيان لتزويد دولة الصهاينة بالاطفال والشباب الذين ينضمون الى مؤسسات الجيش والمصانع. ويتبين من الاحصائيات الرسمية للمغرب أن عدد اليهود المغاربة ــ وهم أكبر جالية يهودية في البلدان العربية ــ قد انخفض بنسبة ٨٠ ٪ على مدى الستينات (١١٩ ٣١ عام ١٩٧١ مقابل ٨٠٦ ١٥٩ عام ١٩٦٠). وقد بلغ مجموع اليهود المغاربة الذين شملتهم عمليات التهجير منذ الاستقلال ٩٠٠ ٢١٠ نسمة، وهو عدد يفوق عدد المهاجرين من أى بلد بما في ذلك الاتحاد السوفياتي (١٠٠ ١٩٧). وبذلك حققت الحركة الصهيونية أكبر نجاحاتها في هذا المجال.

اطارات صهيونية بمال المغاربة

الى جانب ذلك، تنفق الدولة المغربية على الشباب اليهودى من أجل متابعة تعليمه العالي بالخارج ــ وخاصة في ميادين العلوم والتكنولوجيا ــ وجله يذهب الى اسرائيل بعد انتهاء التخصص، والباقي منه يظل في أوروبا. ولم يعد واحد منهم منذ استقلال البلاد رسميا. ومع ذلك وحتى اليوم، فان الدولة المغربية تستمر في تكوين الاطارات الصهيونية العالية كل سنة لتزود بها دولة الاستعمار الصهيوني.. وذلك بمال المغاربة.

والادهى من ذلك أن السلطات المغربية ذهبت الى حد السماح للاتحاد الاسرائيلي أن يشرف على تكوين أبناء اليهود المغاربة داخل المغرب نفسه. وكانت الحماية الفرنسية قد استجابت لاغراض الصهيونية العالمية فعقدت مع الاتحاد الاسرائيلي اتفاقية خاصة بالتعليم مؤرخة في ١٥ فبراير ١٩٢٨ ضمن فيها الاتحاد المذكور الاشراف على تعليم اليهود وتوجيههم ووضع البرامج الخاصة بهم، وتعهدت سلطات الحماية بتخصيص ميزانية خاصة تعطى لتعليم الجالية الاسرائيلية. وبعد بضع سنوات من الاستقلال، وعلى الرغم من تمكن القوى الوطنية المغربية من الغاء الاتفاقية المذكورة رسميا، عادت السلطات المغربية للتعامل مع الاتحاد الاسرائيلي العالمي وبالتحديد مع الفرع الذى أسسه في المغرب تحت اسم جمعية "اتحاد ــ مغرب". وفي سنة ١٩٥٦، والمغرب يومئذ في حالة استثناء عقب انتفاضة مارس الشعبية، حدثت فيما يتصل بالموضوع عدة أشياء أهمها:

ــ تراجع الحكومة عن سياسة تأميم التعليم اليهودى.

ــ ابرام اتفاقية خاصة مع "اتحاد ــ مغرب" استرجعت هذه الجمعية بمقتضاها جميع المدارس اليهودية، حتى تلك التي كانت قد أدمجت من قبل.

ــ الغاء دمج رجال التعليم اليهود في التعليم العام الذى حدث عام ٦٢.

ــ سحب المساعدة التي تقدمها الميزانية العامة للتعليم اليهودى من وزارة التعليم (١٥٠ مليون فرنك) ودمجها في ميزانية الكتابة العامة للحكومة.

ــ فصل هذا التعليم عن رقابة وزارة التعليم ونقل ملفه الى رئاسة الحكومة.

وهكذا أقيمت دولة داخل الدولة المغربية، وأصبح تعليم اليهود في المغرب خاضعا لاعتبارات الحركة الصهيونية وامتداداتها داخل المغرب نفسه.

والجدير بالتسجيل أيضا أن جل الاطر الصهيونية التي رباها الاستعمار الفرنسي في المغرب حافظت على مواقعها على رأس بعض الادارات الحكومية ، حيث عين أحدهم في منصب الامين العام لوزارة الخارجية وآخر مديرا عاما للانتاج المعدني ، وخبير تخطيط قي وزارة الاقتصاد الوطني ، بالاضافة الى ملحق في وزارة الفلاحة وموظفين كبار في وزارة الداخلية ومدير مكتب الحبوب ..كما استعانت وزارة الخارجية بعدد كبير من اليهود كموظفين ورؤساء أو أعضاء بعثات تجارية واقتصادية في الخارج.

كما أن يهود المغرب كانوا ــ ولازالوا ــ يلعبون دورا كبيرا في الاشراف على تسيير أملاك المعمرين الجدد بعد "الاستقلال" . وأصبحت البورجوازية اليهودية تبتلع مئات الهكتارات من الاراضي الزراعية وتسيطر بشكل كبير على التجارة وخاصة منها التجارة الخارجية.. ونشط الرأسمال اليهودى في استثمار خيرات المغرب وتزويد دولة الصهاينة بالثروات التي يجنيها . وبينما أصبحت الاحياء اليهودية القديمة فارغة من اليهود المغاربة على اثر حملات التهجير الى فلسطين المحتلة ، كانت البورجوازية اليهودية قد غيرت مواقع سكناها فقط ، حيث أصبحت تقطن الاحياء الارستقراطية الى جوار الطبقة الحاكمة.

٢ــ القادة الصهاينة يتوافدون على المغرب

١٩٦٩/١٩٧٠ : بداية الاتصالات المباشرة

يعود تاريخ الاتصالات من المستوى العالي بين المغرب واسرائيل الى سنة ١٩٦٩ على الاقل. فقد كشف رئيس العدو الصهيوني حاييم هرتسوغ لعائلات يهودية من أصل مغربي زارها في ٢٣ أبريل ١٩٨٤ بمناسبة عيد "ميمونة" الخاص باليهود المغاربة ، أنه قام بزيارة سرية الى المغرب عام ٦٩ في "مهمة سرية" . وكان هرتسوغ في ذلك الوقت يحمل رتبة جنرال في الجيش الاسرائيلي ، وشغل منصب رئيس المخابرات العسكرية قبل أن يصبح حاكما للضفة الغربية المحتلة اثر عدوان يونيو ٦٧.

واذا كان هرتسوغ لم يفصح عن طبيعة "المهمة السرية" التي قادته الى المغرب ، فان ناحوم غولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودى العالمي السابق ، قد أزاح الستار عن بعض تفاصيل زيارته للمغرب عام ١٩٧٠ ، حينما كتب في مذكراته : "لقد حاول ملك المغرب دائما أن يقرب بين اليهود والعرب .وشخصيا حاول أن يجمعني بعرفات مرتين على الاقل : في المرة الاولى كنت موجودا في روما في بداية صيف ١٩٧٠ حين اتصل بي رئيس تحرير الـ"نوفيل أوبسرفاتور" الفرنسية ، جان دانييل ، وثيق الصلة بزعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي فرانسوا ميتران ــ وهو

صديق للملك ـ ليقول لي أن الحسن الثاني ينتظرك على جناح السرعة. لم أستطع أن أقطع زيارتي وفضلت أن يتم ذلك خلال أسبوعين.. وعندما ألح، اتصلت بموشي ديان، وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك، في تل أبيب لاخبره بالزيارة. وجاءتني الموافقة من ديان للقاء ملك المغرب. وحالما وصلت، استقبلني الملك بحبور، ثم طرح علي مباشرة اللقاء بعرفات. وكان ردي للملك أنني لست متيقنا من أن هذا اللقاء سينجح أم لا.. ثم طلبت أن أتصل بصديقي ديان لاستشيره، فجاء رده في الحين: لست ضد اللقاء مبدئيا.. لكنه أضاف: "هناك أزمة خطيرة بين عرفات والملك حسين. ومن الاحسن أن ننتظر حتى تمر هذه الازمة، ذلك أن عرفات ربما لن يكون موجودا في المستقبل". كان ذلك قبل مذبحة أيلول ١٩٧٠، وكان ديان يعلم مسبقا بالمشروع الاردني لتصفية المقاومة الفلسطينية" (٨).

وقد أوضحت الصحفية الاسرائيلية تامر غولان في مقال لها بصحيفة "معاريف": "ان الذى بادر بزيارة الدكتور ناحوم غولدمان الاولى للمغرب ونظمها هو رجل الاعمال الدولي جان جولن الذى كان وقتها سكرتيرا شخصيا ومديرا لمكتب غولدمان في المؤتمر اليهودى العالمي. وكان جان جولن قد زار المغرب قبل عدة سنوات من استقلاله عندما أقامت فيه الحركة الصهيونية عملا متشعبا وبدأ تهريب الطليعيين الى اسرائيل. ومنذ ذلك الحين حافظ على علاقات متشعبة مع شخصيات هامة مقربة الى الاسرة المالكة، وقام هو وزوجته بزيارات دائمة للمغرب ودخلوا وخرجوا منه دون مواجهة أدنى صعوبة" (٩).

أكتوبر ١٩٧٦: زيارة اسحاق رابين

كان اسحاق رابين يشغل منصب رئيس الوزراء في اسرائيل عندما أقلته طائرة مغربية خاصة من باريس وعلى متنها اسرائيليان آخران وشخصية مغربية قيل أنها المستشار العسكرى في سفارة المغرب بباريس. ومكث رابين في المغرب يومين زار خلالهما كلا من فاس والرباط والدار البيضاء وطنجة، ومنها قفل عائدا الى باريس عبر مدريد، بعدما أجرى محادثات مع عدد من كبار المسؤولين المغاربة. ويومها قالت مجلة "جون أفريك" الفرنسية في مقال لها أن الطرفين اعتبرا الزيارة

"مثمرة للغاية" وأنه جرى في اللقاء جس النبض واكتشاف النيات، مضيفة أن الزيارة قد تلتها بعض المقابلات بين سفيرى الطرفين في باريس، وكان تحضير الزيارة قد تم بواسطتهما (١٠).

وتشير تامر غولان في المقال السابق الذكر أنه خلال هذه الزيارة "تباحث اسحاق رابين ورؤساء الادارة المغربية حول كل شيء. لقد كانت هنا قبل كل شيء محاولة لخلق اتصالات شخصية وتبادل الاراء. ودار الحديث حول امكانيات التعاون بين الدولتين اللتين لهما مشاكل مشتركة في أمور حيوية، وضرورة ايصال المياه الى المناطق الصحراوية في المغرب، وتحلية مياه البحر وتطوير الزراعة الجبلية. لكن الوضع في الشرق الاوسط كان هو العمود الفقرى للمحادثات. لقد حاولت اسرائيل دوما البحث عن طريق الى الدول العربية. ولا شك أن الملك المغربي هو أحد "القنوات" الممتازة جدا لنقل التلميحات لهذه الدول".

وحول نتائج المباحثات، تقول الكاتبة: "لقد خرج الطرفان راضيين عن الزيارة التي استغرقت يومين. وقال المقربون من الملك أنهم تأثروا بـ"جدية وهيبة" رئيس الحكومة الاسرائيلية وأنه باستثناء الموضوع الفلسطيني، فان نقط الاتفاق كانت أكثر مما توقعوا في البداية. وقد نقل الملك أهم ما دار في محادثاته مع رابين ليس الى الرئيس السادات فحسب، بل أيضا الى الحكام العرب الذين يقيم معهم علاقات خاصة. وهكذا فتح طريق جديد للاتصال بزعماء العالم العربي، بالاضافة الى الطرق الاخرى التي تعمل بالاساس بواسطة الولايات المتحدة وبعض الشخصيات اليهودية".

وسيكشف رابين فيما بعد (مارس ١٩٨١) للتلفزيون الاسرائيلي أنه التقى مسؤولين كبار من البلدان العربية في المغرب، وأنه أجرى هناك محادثات على أعلى مستوى مع مسؤولين أردنيين عندما كان رئيسا للوزراء ما بين ١٩٧٤ و٧٧.

تل أبيب/الرباط: طريق سالكة في الاتجاهين

بعد زيارة اسحاق رابين، تكثفت الاتصالات المغربية الاسرائيلية، وتمت زيارات "ترمز الى تعاون وثيق وسرى بين الجانبين. ففي أقل من خمسة أشهر، من مارس الى سبتمبر ١٩٧٧، زار اسرائيل أكثر من وفد مغربي، وهي وفود كانت

أغلبها من وزارة الزراعة ووزارة المناجم وشركة الطيران المدني" (١١). وقد نشرت صحيفة "معاريف" في تلك الاثناء خبرا يقول انه في مكان ما بباريس اجتمع يوم ١٦ يونيو ٧٧ مندوبو المغرب واسرائيل لمكافحة أوبئة المواشي. وكشفت الصحيفة النقاب عن "اهتمام المغرب بشراء الابقار الاسرائيلية من الصنف الذى يعطي كميات كبيرة من الحليب". وعلقت مجلة "الدستور" التي نقلت الخبر بقولها انه "اذا كان مفهوم غولدا مايير للسلام يتلخص في شعارها المشهور وهو أن يذهب الاسرائيلي الى أسواق دمشق والقاهرة لشراء البضائع في حرية تامة، فان حكام المغرب على ما يبدو قد سبقوا الاسرائيليين وقصدوا أسواقهم للشراء" (١٢).

وهذا ما أوضحه بجلاء التصريح الملكي لصحيفة "نيوزويك" والذى جاء فيه: "تصوروا ولو لحظة ما يمكن أن تحققه الثروة المالية والاقتصادية العربية الهائلة اذا ما توحدت مع العبقرية الخلاقة لاسرائيل من أجل تحويل المنطقة بكاملها".

الى جانب ذلك، اتخذ النشاط الصهيوني في المغرب أشكالا أخرى تحت غطاء "التعايش اليهودى العربي". وكانت قد أسست لذلك النشاط في بداية العام ١٩٧٥ بباريس جمعية أطلق عليها اسم "هوية وحوار" على أيدى أربعة من اليهود المغاربة الموالين لاسرائيل، وهم أندرى أوزولاى، جوزيف عفلالو، روبير الصراف وأندرى اللوز، وقد كان أغلبهم موظفين كبار أو مسؤولين صحفيين في المغرب، ثم انضم اليهم بعد ذلك، أندرى شوراكي الجزائرى الاصل، والذى كان يشغل منصب مساعد حاكم مدينة القدس المحتلة ومستشارا لدفيد بن غريون في الشؤون الاجتماعية، وهو ما أعطاه لقب "أبو مشاكل اليهود الشرقيين في اسرائيل". وكان شوراكي قد "قابل الملك المغربي عن طريق موريس دروون، وهو من الاكاديمية الفرنسية، ويقول شاهد عيان أنه خرج من اللقاء "متأثرا تماما"، ولدى عودته الى اسرائيل تحدث عن "قصة حبه مع المغرب" وأبلغ حركة "هوية وحوار" ب"ضرورة تأمين وجود دولة اسرائيل عن طريق اندماجها مع الشرق" (١٣).

وتقول الصحفية تامر غولان: "ان رجال "هوية وحوار" هم الذين نظموا زيارتي للمغرب كمراسلة لصحيفة "معاريف"، وسمح لي للمرة الاولى منذ حصول المغرب على الاستقلال بالتحدث مباشرة وبشكل صريح من المغرب الى البلاد واجراء مقابلات مع شخصيات مغربية رئيسية مثل رئيس الحكومة أحمد عصمان ووزير الخارجية. وهم الذين سمحوا لرجل التلفزيون حاييم شيران بأن يصور خلال

ثلاثة أسابيع أماكن يهودية من كل أرجاء البلاد وحفلة عرس الحاخام عمران في وزان، ودعوا الى المغرب ١٢ صحفيا يهوديا وغير يهودى من أوروبا" (١٤). وتامر غولان هذه، صديقة حميمة لاسحاق رابين. وقد زارت المغرب ثلاث مرات على الاقل وتمكنت ــ كما تؤكد هي بنفسها ــ من ربط علاقات وطيدة في الاوساط الحكومية المغربية، وقامت بدور فعال داخل اسرائيل لشرح سياسة الملك وبالاخص نظريته حول "العبقرية الاسرائيلية".

أما على مستوى الاتصالات السياسية بمعنى الكلمة، فقد اتسمت تلك الفترة (١٩٧٧) بتحرك مكثف للشخصيات الصهيونية ذات الاصل المغربي، ففي شهر ماى من ذلك العام، زار المغرب رئيس الرابطة العالمية ليهود شمال افريقيا وزعيم الهستدروت، شاوول بن سمحون الذى "كانت له لقاءات وزيارات متعددة للمغرب. وقد استقبل مرارا من قبل ضباط في الطيران الملكي" (١٥). وخلال تلك الزيارة، أجرى محادثات مع رجال الحكم في المغرب، وزار المدينة التي ولد فيها، فاس، "برفقة ممثلين رسميين تماما" (١٦). ولدى عودته الى تل أبيب، صرح أنه حاول أن يستوضح ما اذا كانت حكومة المغرب تنتهج سياسة هدفها تشجيع هجرة اليهود من اسرائيل الى الخارج، وردا على ذلك قيل له من قبل المسؤولين المغاربة أن ليس هناك أى هدف للضرر أو المس باسرائيل، بل الهدف هو "تشجيع اليهود الاثرياء الذين غادروا المغرب لفرنسا وكندا للعودة والاستيطان في المغرب مجددا!" (١٧).

لقد عاد بن سمحون الى اسرائيل وهو مقتنع بأن القانون الذى أصدرته سلطات الرباط بمنح اليهود المغاربة الحق في الرجوع الى المغرب لا يمثل أية اشارة عدوانية تجاه اسرائيل. كيف لا و"الحكومة المغربية ما انفكت تكشف عن حسن نيتها تجاه اليهود، بل هي تكاد تعترف لهم بالحق في أن يشعروا بقربهم من اسرائيل. والامثلة على ذلك متعددة. فلما توفى الدكتور بنزاكين ــ وكان وزيرا في الحكومة المغربية ــ حضر لجنازته ما لا يقل عن سبعة وزراء (...) كما أن قصة حاخام اليهود في المغرب، شالوم مساس، لا زالت هي أيضا عالقة بالاذهان، فقد كان الشخصية الثانية في المحكمة العليا بالمغرب عندما راح الى اسرائيل وقدم ترشيحه الى منصب الحاخام الاكبر للقدس. وعندما انتخب، رجع الى المغرب فورا ليقدم استقالته الى وزير العدل، ثم جمع حقائبه وطفق عائدا الى اسرائيل" (١٨).

وبعد أسبوع فقط من زيارة شاوول بن سمحون، قام الحاخام مناحيم هاكوهين، وهو عضو في الكنيست، بزيارة مماثلة للمغرب قال انه "تلقى الدعوة اليها من شخصيات رسمية مغربية رفيعة المستوى" (١٩)، كما أن صحيفة الرأى العام الكويتية كتبت نقلا عن جريدة "ايفنتس" أنه "بعد فترة قصيرة من تصريح الملك الذى يدعو الى ضرورة اعتراف العرب بـ"عبقرية اسرائيل الخلاقة"، استقبل الملك المغربي في الرباط أحد زعماء "اتحاد العمال الاسرائيلي"، سيدل سيمون الذى كان يقوم بزيارة الى المغرب للاتصال مع زعماء الجالية اليهودية ولعقد محادثات مع المسؤولين المغاربة (...) غير ان احدى الخطوات الهامة التي اتخذها الملك حول مسألة اجراء الحوار مع اليهود الاسرائيليين كانت في تعليماته الى السفير المغربي في باريس، الدكتور يوسف بلعباس، ليقوم بتمثيل بلاده في الاحتفالات المزمع اقامتها في باريس بمناسبة ذكرى أربعين عاما على انعقاد المؤتمر اليهودى العالمي الذى يرأسه ناحوم غولدمان" (٢٠).

١٩٧٧ : موشي ديان في المغرب

هكذا اذن قطع الطرفان المغربي والاسرائيلي أشواطا كبيرة على طريق تطبيع غير معلن للعلاقات. والحافز على هذا التطور هو أن تلك المرحلة كانت تشهد نشاطا أمريكيا اسرائيليا ومصريا مكثفا لاقامة "صلح" عربي-اسرائيلي. وقد لعب النظام المغربي دورا كبيرا في هذا النشاط منذ البداية. ففي كتابه "خريف الغضب"، يذكر محمد حسنين هيكل أنه في ٤ ماى ١٩٧٧ التقى السادات مع رئيس الدولة المغربي بالرباط. ويلمح هيكل الى دور الوساطة الذى قام به هذا الاخير بين الرئيس المصرى وزعيم حزب "العمل" الاسرائيلي شمعون بيريز، خصوصا وأن اسرائيل كانت في ذلك الوقت مقبلة على انتخابات جديدة للكنيست، وكان من المتوقع أن يفوز بها حزب "العمل" ليصبح بيريز رئيسا للحكومة. لكن ما حصل بعد ذلك هو فوز تكتل "الليكود" (غشت ١٩٧٧)، فصعد الى كرسي الحكومة مناحيم بيغين بديلا من بيريز. وأول ما فعلته حكومة بيغين لاختبار نوايا السادات ومصداقية الوساطة المغربية أن قامت ــ كما يثبت هيكل في كتابه ــ بارسال معلومات الى السادات، عبر المغرب، تقول بأن هناك "مؤامرة" ليبية ضد السادات. وتضمنت الرسالة الاسرائيلية استعدادا لاعطاء التفاصيل الى مندوب مصرى مفوض

مباشرة وليس عن طريق طرف ثالث. فسارع السادات الى ارسال مدير المخابرات العسكرية المصرية الى الرباط، حيث التقى برئيس المخابرات الاسرائيلية الذى قدم له "قصة تفصيلية عن مؤامرة يدبرها القذافي لاغتيال السادات". وبعد هذا أمر السادات بشن "حرب تأديبية" على ليبيا. ولمدة أسبوع كانت الطائرات المصرية تقصف المواقع الليبية على الحدود ووراءها.

في ذلك الحين، ظهر حديث في الصحافة الاجنبية عن اختفاء موشي ديان فجأة عندما كان في زيارة الى بروكسيل، ثم ما لبث أن ظهر في باريس دون مقدمات ودون أن يعرف أحد أين ذهب. وتبين فيما بعد، وهو ما أكده ديان في مذكراته (٢١) أنه كان في المغرب وأن زيارته كانت على دعوة رسمية من النظام المغربي، حيث يقول:

"يوم الاحد ٤ سبتمبر ٧٧ كانت زيارتي الاولى للمغرب، ولم يكن هذا هو اللقاء الاول لممثل حكومة اسرائيل مع المغرب، فلقد سبقته اتصالات عديدة، ولكن نظرا لتشكيل حكومة جديدة في اسرائيل برئاسة بيغين، استؤنفت الاتصالات بين كلتا الدولتين ودعيت الى الرباط. ووافق رئيس الوزراء على رحلتي وتحدثنا فيما بيننا حول موقفنا الذى سأطرحه أمام الملك، وكانت النقطة الاساسية في هذا الموقف هي أننا نريد اتصالا مباشرا مع المصريين لكي نبحث معهم سبل التوصل الى اتفاق سلام وأن يقوم ملك المغرب بمساعدتنا على ذلك".

وفي مدينة ايفران، تقابل ديان مع الملك ومعاونيه. ويقول ديان: "وأخذ الملك يشرح لي وضعه الخاص كوسيط بيننا وبين العرب وكمضيف للممثلين الرسميين لحكومة اسرائيل. قال لي في البداية ــ ربما ليخفف عني ــ اذا ما انكشف وجودك هنا، فانني لن أسقط من على العرش، فلدى طائفة يهودية كبيرة وهو مواطنون مغاربة مخلصون (...) وأعرب لي الملك محددا عن تفاؤله بالنسبة للقائنا مع المصريين. وأضاف بعد ذلك بأنه يعتقد أن الاسد سوف ينضم هو الاخر في نهاية الامر. وعن الاردن والفلسطينيين، قال انه اذا ما قام اتحاد فيدرالي بينهما، فستكون الغلبة للفلسطينيين وعندئذ سيطيحون بالملك حسين".

وكتب ديان أيضا عن زيارته هذه أنه كان "محط اعجاب من قبل الملك كسياسي ماهر ومن قبل الكولونيل الدليمي كعسكرى ماهر". وعن جو الزيارة نفسها، ذكرت تامر غولان أن شخصية ديان "أثرت كثيرا على مضيفيه الذين أشاروا الى أنه "محدث جذاب يتمتع بتفكير غير عادى" (٢٢). وانتهت الزيارة بأن وعد الملك ضيفه بأن يعطيه جوابا بعد خمسة أيام بشأن عقد لقاء مصرى اسرائيلي.

"وبالفعل، في التاسع من سبتمبر، يقول ديان، تسلمت رد المغرب بأن الحكومة المصرية وافقت على عقد مثل هذا اللقاء بين الرئيس السادات ورئيس الوزراء بيغين أو بيني وبين نائب الرئيس المصرى بأسرع ما يمكن".

وفي الاسبوع التالي، وبالتحديد يوم ١٦ سبتمبر ٧٧، كان موشي ديان في المغرب ثانية ليلتقي مبعوث السادات، حسن التهامي، بحضور الملك الذى قدمه لنائب الرئيس المصرى باعتباره ــ أى ديان ــ صديقا قديما للملك. ويؤكد ديان أن هذا الاخير لعب دورا أساسيا في اقناع حسن التهامي بعدم جدوى التمسك بالشرط المصرى، ألا وهو الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة: "لقد ساعدني الملك بصفة عامة عندما نصح التهامي بضرورة التخلي عن العناد وأنه من غير الممكن التحدث مع اسرائيل عن السلام في نفس الوقت الذى تفرضون فيه شروطا مسبقة (...) وعن مشكلة اعادة الاراضي الى أصحابها، قال الملك أن هذه الاراضي تعدّ ضمانا في أيدى اسرائيل الان لامنها".

ويضيف ديان أنه من جهته، تحدث عن "أمله في لقاء بيغين-السادات وعن المشكلات التي يمكن أن تترتب عن انسحابنا ووضع المستوطنين اليهود في هذه المناطق وعن مشكلات معقدة أخرى كثيرة، فقلت أنني أومن بقدرتنا على ايجاد حل لكل مشكلاتنا مع الملك حسين ملك الاردن، ولكن لن تكون هناك دولة فلسطينية. وفي النهاية اتفقنا على ما يلي: ١ــ أن يبعث كلا الطرفين فورا بتقارير الى زعيمي الدولتين للحصول على موافقتهما على عقد لقاء آخر، ٢ــ أن يتم تبادل وثائق السلام التي أعدت بمعرفة الولايات المتحدة ليدرسها كل طرف على حدة حتى اللقاء القادم، ٣ــ اذا ما وافق كل من زعيمي الدولتين على ذلك، يكون لقاؤنا القادم في المغرب أيضا خلال أسبوعين".

لقد تحول المغرب في تلك الفترة الى محطة للقاءات مكثفة بين المسؤولين المصريين والاسرائيليين، فقد لوحظت آنذاك كثرة تردد كل من حسن التهامي وحسني مبارك على المغرب. وكانت تلك المفاوضات السرية تهدف الى التمهيد للمفاوضات المباشرة والعلنية واعداد المسرح لاعلان قرار مبادرة السادات بالذهاب الى القدس المحتلة. ويقول موشي ديان في مذكراته: "ان ملك المغرب هو الذى كان وراء زيارة الرئيس السادات للقدس في العام ١٩٧٧"، مضيفا "ان السادات رفض في البداية اقتراحا من الرئيس الروماني نيكولاى تشاوسيسكو لمقابلة رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغين، ولكن الفضل يرجع لوساطة الحسن الثاني التي جعلت السادات يغير رأيه، بعد أن طرح عدة معادلات للتسوية خلال لقاءاته معي

ومع المبعوث المصرى حسن التهامي".

وبعد مرور حوالي أسبوعين على الزيارة الخيانية للسادات، أى في الثاني من ديسمبر ١٩٧٧، جاءت الزيارة الثالثة لموشي ديان للمغرب. ويعتبر ديان هذه الزيارة أنها أرست بالفعل "أسس اتفاقيات السلام بين مصر واسرائيل". وكان جدول أعمال هذا اللقاء هو مناقشة الوثائق من كلا الطرفين. وعندما انتهت المحادثات، يقول ديان، "كان الوداع حارا للغاية، من الملك في البداية، الذى اكتفى بمصافحتي بالامس، لكنه اليوم يضع قبلة على خدى. وقبل خروجنا طلبت من الملك أن أفضي اليه ببعض كلمات على انفراد. قلت له ان بيغين يبلغكم رغبته في لقائكم. فرحب الملك على الفور قائلا: "انه ليسرني في أى وقت أن يحل رئيس الوزراء الاسرائيلي عندى".

وبعد بضعة أيام، ذكرت صحيفة "معاريف" أن أوفاية يوسف حاخام اليهود الغربيين في الكيان الصهيوني سيصل الى الرباط وأن الغرض من الزيارة هو توجيه دعوة لعدد من يهود المغرب للاشتراك في المؤتمر العالمي الرابع للمعابد والطوائف اليهودية الذى سيقام في الارض المحتلة بمناسبة الذكرى الثلاثين لقيام الكيان الصهيوني!(٢٣). وكان ممثلوا الطائفة اليهودية المغربية قد شاركوا في أكتوبر ١٩٧٧ في المؤتمر اليهودى العالمي المنعقد في واشنطن، وكان يرأس الوفد "المغربي" دفيد عمار، وهو من الشخصيات المقربة جدا للنظام المغربي.

أما عن مشروع زيارة بيغين للمغرب، فالظاهر أنها لم تتم نظرا لرغبة بيغين في أن تكون الزيارة رسمية وليس سرية. وقد عبر مرة عن رأيه هذا لاحدى الصحف الامريكية فقال: "لو أردت أن أقوم بزيارة سرية للمغرب لكنت فعلت ذلك. انني أريد زيارة رسمية. ان زيارة سرية أو لقاء سريا ربما كان سيتم لو لم يقم السادات بزيارتنا. أما الان فلا شيء يدفعني الى ذلك. وربما لا يسمح لي وضعي كرئيس وزراء أن أزور المغرب سريا"(٢٤). وتؤكد تامر غولان من جهتها أن السبب في الغاء الزيارة هو "أن المغاربة أرادوا أن يحمل رئيس حكومة اسرائيل معه "مقترحات جديدة" تقدم المفاوضات خطوة الى الامام، وتوقعوا تحركا في موضوع الفلسطينيين. ولكن يبدو أن الاسرائيليين اعتقدوا بأنه اذا كان عليهم أن يتخذوا موقفا جديدا في هذا الموضوع المعقد، فان ذلك يمكن أن يحدث في اطار المفاوضات مع الاطراف المعنية بالامر مباشرة: الولايات المتحدة، مصر أو الاردن"(٢٥).

وستذكر الاذاعة الاسرائيلية فيما بعد (١١ أكتوبر ١٩٨١) نقلا عن مناحيم

بيغين أن الملك المغربي وجه اليه منذ سنوات عدة دعوات لزيارة المغرب. وأضاف بيغين في تصريح أدلى به في الطائرة التي أقلته من القاهرة بعد أن شارك في تشييع جنازة أنور السادات وعلم بأن المغرب عدل عن قراره بالاشتراك في تشييع الجنازة بسبب وجوده بالقاهرة: "انه لنفاق، فقد دعاني الملك الحسن الثاني بنفسه لزيارة المغرب، وقد رفضت لاصراره أن تكون الزيارة سرية".

ما بعد كامب ديفيد

ولم يترك النظام المغربي مناسبة تمر دون التعبير عن تأييده للمبادرة الساداتية ولمخطط كامب ديفيد، كما جاء ذلك في نص الرسالة الملكية الموجهة يوم ٢٠ يناير ١٩٧٨ الى السادات: " ولا زلنا نأمل أن يقف جميع الاشقاء المعنيين بأمر الاحتلال الاسرائيلي بجانبكم ويضعوا ثقلهم جميعا للضغط معكم". كما خص خطاب العرش يوم ٣ مارس ١٩٧٨ مبادرة السادات بفقرة مطولة جاء فيها: "وحدث في آخر السنة الماضية حادث لفت الانظار وأثار الاعجاب والاكبار وتعلقت به آمال المحبين للسلام المتطلعين الى استتباب الامن بصفة نهائية في منطقة الشرق الاوسط، ذلك الحادث هو المبادرة التي اتخذها أخونا وصديقنا الكبير، الرئيس محمد أنور السادات، فقد أعلن هذا الاخير التزامه لزيارة القدس والتفاوض مع قادة اسرائيل للوصول الى حل يضع حدا للنزاع القائم بين العرب واسرائيل منذ ثلاثين عاما، وبادرنا على الفور الى تأييده وتشجيعه، اعتقادا راسخا منا أن الغاية من اتخاذ المبادرة ليست هي الدفاع عن المصرية الصرفة، وانما القصد أعم وأشمل، ألا وهو ايجاد الحل مع المخاطب الاسرائيلي"، وأضاف: "لكن مبادرته هذه، وان أدركت الدول الغربية وبعض الدول العربية ما اتسمت به من اقدام كبير وشجاعة نادرة، حكمت عليها دول عربية أخرى مسبقا وفهمتها فهما غير صحيح وتناولتها بالتنديد والانكار".

وبتطور العلاقات الاسرائيلية المصرية على النحو الذى مضت فيه بعد زيارة السادات وتوقيع اتفاقيتي كامب ديفيد والمعاهدة المصرية الاسرائيلية، لم ينقطع حبل الارتباطات بين تل أبيب والرباط، بل انه على العكس، ازداد وثوقا وظل المسؤولون الحكوميون والزعماء السياسيون الصهاينة يترددون على المغرب، على

الرغم من أن هذا الاخير قد تكلف برئاسة اللجنة الخاصة بـ"الجهاد من أجل تحرير مدينة القدس"، وفوضته منظمة المؤتمر الاسلامي باجراء الاتصالات الضرورية لتحقيق هذه الغاية. "وربما فهم الحسن الثاني ـ أو على الارجح كان ذلك من صلب قرار التفويض نفسه! ـ أن هذه الاتصالات تشمل الاسرائيليين أيضا" (٢٦). وهكذا استمرت الاتصالات على أكثر من صعيد، و"أعربت شخصيات اسرائيلية عديدة عن رغبتها في السفر الى المغرب، والرباط لم تعط ردا سلبيا. والمغاربة معنيون بالوصول الى علاقات يهودية عربية "عادية" وحتى اسرائيلية عربية (٠٠) كما أن المغرب على استعداد لاقامة علاقات مع اسرائيليين آخرين، من التعليم حتى الزراعة والسياسة" (٢٧).

لقد اعتبر النظام المغربي أن السادات بتوقيعه معاهدة كامب ديفيد عمل ما في جهده وقطع المسافة التي كان يجب عليه أن يقطعها، والان يأتي دور الاخرين، وهم الاردنيون بالدرجة الاولى. وعلى هذا الاساس، بدأ في التهيئ لهذه المرحلة الجديدة المعقدة بالتنسيق مع الاردن والاسرائيليين، وخصوصا منهم أصحاب "الخيار الاردني" وحزب "العمل" الاسرائيلي تحديدا. من هنا كانت اللقاءات المتكررة مع زعيم حزب "العمل"، شمعون بيريز. وقد تم اللقاء الاول عام ١٩٧٩، واقتصرت المعلومات التي ترددت حوله على أن الطرفين ناقشا احتمالات كسر الجمود في مفاوضات "السلام" بالشرق الاوسط. وسوف يؤكد بيريز تلك الزيارة فيما بعد، عندما أبلغ العائلات اليهودية التي زارها مع هرتسوغ في أبريل ١٩٨٤ أنه قام هو الاخر بزيارة سرية الى المغرب في العام ١٩٧٩.

أما اللقاء الثاني، فقد كشف عنه التلفزيون الاسرائيلي حين ذكر في احدى نشراته الاخبارية ليوم ١٩ مارس ١٩٨١ أن شمعون بيريز يوجد في الرباط حيث التقى رئيس الدولة المغربي بحضور شقيق الملك حسين وولي عهده الحسن بن طلال. ورغم أن وزير الاعلام المغربي حاول ـ عبثا ـ تكذيب الخبر، الا أن بيريز أكده بصفة غير مباشرة موضحا أنه "التقى فعلا بزعماء عرب" ولكنه رفض الكشف عن أسمائهم محافظة منه على "وعد بالسرية"، وأضاف يقول: "عندما أجتمع بزعماء عرب، فانني أبلغهم سياسة حزب العمل التي هي ضد قيام دولة فلسطينية مستقلة وضد المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية واننا مع القدس الموحدة".

وكالعادة، بدأ كل شئ من أوروبا: "كان زعيم حزب العمل الاسرائيلي يزور لندن "زيارة خاصة". ويومها كان موجودا في العاصمة البريطانية الامير حسن، ولي العهد الاردني في "زيارة شخصية" أيضا. أما العاهل المغربي، فكان يقوم

بزيارة سرية الى العاصمة الفرنسية قابل خلالها السفير الاردني في باريس، ثم عددا من الشخصيات الصهيونية والاسرائيلية من بينها ناحوم غولدمان وتيدى كوليك، رئيس بلدية القدس المحتلة. وتروى القصص الصحفية أن العاهل المغربي اتصل برئيس تحرير مجلة "نوفيل أوبسرفاتور" وكلفه بالاتصال بشمعون بيريز ليتفق معه على موعد قريب جدا..في المغرب، كما أرسل مستشاره الخاص رضا غديرة الى لندن لمقابلة ولي العهد الاردني. وفي ١٨ مارس، كان الثلاثة: الحسن الثاني والحسن الاردني وشمعون بيريز في الرباط يعقدون اجتماعا حضره المستشار غديرة. ويومها وصف الراديو الاسرائيلي الاجتماع بأنه كان مطولا وبأن بيريز أعرب فيه عن نية حزب "العمل" منح الفلسطينيين "حكمهم الذاتي" في غزة دون موافقة عرب الضفة الغربية، في حين طلب الامير الاردني مزيدا من التفاصيل في الاجتماعات المقبلة.. بينما ركز الملك المغربي في مداخلته على "فشل كامب ديفيد اذا لم تلحقه خطوات أخرى" وعبر عن اعتقاده بأن الخطوة الحالية يجب أن تبدأ مع الاردن باتجاه منظمة التحرير. كما أبلغ بيريز محدثيه بأنه سيحاول تحقيق تسوية بشأن القدس مع السعودية اذا ما شكل حزب "العمل" الحكومة المقبلة في اسرائيل. وقد افتعلت آنذاك ضجة في الاوساط الحاكمة في اسرائيل حول اجتماع بيريز في الرباط، لانه لم يأخذ سلفا موافقة الحكومة!

"وبعد هذا كله، يمكن أن نفهم تماما الان لماذا طرح السعوديون في ذلك الوقت مشروعهم الخاص بتصفية الصراع العربي الاسرائيلي والقضية الفلسطينية، وهو المشروع الذى اشتهر باسم "خطة الامير فهد" الذى كان وليا للعهد في السعودية قبل أن يصبح ملكا، ولماذا اختير المغرب مرتين لعقد القمة العربية في دورتين متعاقبتين: الاولى في أواخر ١٩٨١، والتي أرادها السعوديون والمغاربة بشكل خاص أن توافق على "خطة الامير فهد" التي انفرط عقدها بسبب معارضة بعض الزعماء العرب للخطة، ثم القمة اللاحقة التي انعقدت في أواخر ١٩٨٢، والتي أقرت خطة فهد بعد ادخال تعديل طفيف عليها، وفي ظروف الاحتلال الاسرائيلي للبنان واخراج قوات الثورة الفلسطينية من بيروت والجنوب اللبناني، ولماذا اختير المغرب مرة أخرى لعقد القمة الاسلامية التي قررت الاعتراف بكامب ديفيد واستئناف عضوية مصر في منظمة المؤتمر الاسلامي. وفي الحالات الثلاث، كان العاهل المغربي، جنبا الى جنب مع الملك السعودى بشكل خاص، يلقي بكل ثقله من أجل التسوية الاستسلامية لقضية الصراع العربي الاسرائيلي" (٢٨).

٣ـ في اتجاه التطبيع

ماى ١٩٨٤: مؤتمر صهيوني علني في المغرب

في خطوة تطبيعية علنية هذه المرة، وتحت غطاء احتماع مجلس الطوائف اليهودية المغربية، انعقد في الرباط يومي ١٣ و١٤ ماى ١٩٨٤ مؤتمر صهيوني ضخم حضره بدعوة رسمية من السلطات المغربية عدد كبير من أقطاب الصهيونية قادمين من "اسرائيل" والولايات المتحدة وكندا وفرنسا.. وضم الوفد الصهيوني أزيد من ٣٥ شخصية، من بينهم وزيران سابقان وثمانية نواب في الكنيسيت ممثلين عن تكتل الليكود وحزب "العمل" والمابام، وأبرزهم هارون أبوحصيرة من حزب "تامي"، وعدد من رؤساء البلديات وأساتذة جامعيون وحشد من مديرى الحرائد الاسرائيلية. وقد وصل أعضاء الوفد مرفوقين بزوجاتهم على متن طائرة مغربية خاصة أرسلت الى باريس لنقلهم الى الرباط. كما شارك في المؤتمر أيضا عدد من كبار مسؤولي المؤسسات الصهيونية العالمية، وعلى رأسهم ادغار برونفمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمي، وستيفان سولارز عضو مجلس النواب الامريكي، وشيو كلين رئيس المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية بفرنسا، وجاك عطالي مستشار الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران..

وقد حرص النظام المغربي على ابراز رعايته ومباركته للمؤتمر الصهيوني

هذا : فبحضور عدد هام من الشخصيات المغربية الرسمية، افتتح المؤتمر وزير الداخلية المغربي ووزير الدولة أحمد العلوى الذى لم يرد في كلمته ذكر لمنظمة التحرير الفلسطينية واقترح انشاء جمعية من أجل ما أسماه "السلام بين العرب واليهود". وقد رد رئيس المؤتمر اليهودى العالمي بقوله : "ان دولة اسرائيل هي في واقع الامر حقيقة قائمة، لكن ذلك لاينبغي أن يكون عقبة أمام علاقات جيدة بين اليهود والمسلمين" على حد قوله.

وأثناء الجلسات العلنية للمؤتمر، وجه هارون أبوحصيرة ورفائيل ايدرى رئيس الوفد دعوات لرئيس الدولة المغربي من أجل زيارة اسرائيل. وقال ايدرى : "ان العاهل المغربي سيلقى اذا ما رغب في ذلك أفضل استقبال لم يحظ به رئيس دولة من قبل". وعلى كل حال، فان الوفد الصهيوني من جهته لقي استقبالا واهتماما كبيرين من جانب السلطات المغربية. وفي هذا السياق، استضاف ولي العهد المغربي أعضاء الوفد الى مأدبة عشاء على شرفهم وبمعيته أعضاء الحكومة بكاملها وكبار الرسميين وحتى بعض الشخصيات "المعارضة". وقد أبدت الاوساط الصهيونية ارتياحها للحفاوة التي استقبل بها الوفد، لاسيما ــ كما قالت ــ ان السلطات المغربية منحت تأشيرات دخول لعدد من أعضاء الوفد الاسرائيلي وهم ليسوا من مواليد المغرب !

ونقل مراسل راديو العدو أنباء تتحدث عن احتمال تشكيل" لجنة صداقة مغربية اسرائيلية" تكون اطارا لاستمرار ما يسمى "الحوار العربي اليهودى". ومن جهته أشاد وزير الحرب الصهيوني السابق، عيزر وايزمان، بما وصفه "شجاعة الملك المغربي والخطوات الجريئة التي اتخذها بالنسبة لاسرائيل". كما أعلن يوسي سريد اثر مؤتمر الرباط أنه "واثق بأن الملك المغربي يستطيع أن يلعب دورا أساسيا بحمل الفلسطينيين والاردن على الالتحاق بالسلام". وأخيرا، صرح مايير شيتريت بأنه يعتقد أن "أهم نتيجة لهذا المؤتمر قد تكون هي فتح الطريق لمبادرة سلام جديدة في العالم العربي"(٢٩). وكانت السلطات المغربية قد أعربت بمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيوني عن استعدادها للتوسط بين منظمة التحرير والكيان الصهيوني في عقد اجتماع بينهما. وقد تحدث رئيس الدولة في مقابلة مع راديو فرنسا الدولي فقال : "انني أوجه الان دعوة رسمية لاى مؤتمر ولاى نقاش يؤدى الى عقد اجتماع بين الاسرائيليين ومنظمة التحرير الفلسطينية"، مضيفا : "انني لن أكون معهم لكن الى جانبهم، واذا احتاجت العجلات الى التشحيم فسأكون أول من يحضر للتشحيم".

أما على الصعيد العربي الرسمي، فان الصمت الذى التزمته أكثر الانظمة العربية ازاء خطوة استضافة مؤتمر صهيوني على أرض المغرب، يشير الى موافقتها على المبادرة ويبين أن النظام المغربي لم يقدم عليها بالاصالة عن نفسه فقط، بل أيضا بالنيابة عن حلفائه العرب وبخاصة السعودية ومصر والاردن، لاسيما وأن رئيس الدولة المغربي هو في الوقت نفسه رئيس "لجنة القدس" ورئيس القمة الاسلامية ورئيس القمة العربية. وقد أوضح في المقابلة المذكورة أعلاه، ردا على سؤال حول ما اذا كانت الانظمة العربية مستعدة للاعتراف بالكيان الصهيوني : "انني أترأس اللجنة السباعية العربية المكلفة بشرح مشروع فاس الذى يعترف باسرائيل ويدعو الى اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في المفاوضات".. وأضاف قائلا : "هذه خطتنا العربية" !

في الوقت نفسه، صرح الارهابي اسحاق شامير معلقا على المؤتمر بأن زيارة الوفد الاسرائيلي للمغرب "تشهد بأن العالم العربي يخضع شيئا فشيئا للاعتراف بوجود دولة اسرائيل".

وقد اعتبر اللقاء الفلسطيني المنعقد بالجزائر بين ممثلي الفصائل الفلسطينية الخطوة التي أقدم عليها النظام المغربي "تسللا صهيونيا الى قلب الصف العربي في الوقت الذى هزم فيه الشعب اللبناني العظيم اتفاق ١٧ مايو ويقاوم فيه الشعب المصرى العظيم التطبيع ويضغط بقوة لقطع العلاقات الدبلوماسية ولالغاء اتفاقيات كامب ديفيد مع الكيان الصهيوني". وجاء أيضا في البيان الذى أصدره اللقاء : "ان ممثلي القوى الفلسطينية المشاركة في اللقاء يشجبون بشدة هذا التطور الخطير في السياسة المغربية المنسجم مع المخططات الامريكية والهادفة الى تحطيم الارادة العربية في المجابهة وفرض الوجود الاسرائيلي على المنطقة العربية وتصفية أهداف الشعب الفلسطيني ووجوده".

واذا كان الهدف الاول من عقد ملتقى صهيوني من هذا الحجم وذلك المستوى هو تحضير الاجواء لمبادرة تصفوية جديدة بشأن القضية الفلسطينية، فان الهدف الاساسي الثاني هو تعزيز مكانة النظام المغربي لدى الولايات المتحدة بتقديم المزيد من الضمانات والخدمات السياسية اليها، من أجل الحصول على دعم أمريكي اضافي في شكل مساعدات مالية وأمنية تمكنه من التنفيس عن أزمته الاقتصادية المستحكمة والتي انفجرت قبيل ذلك ببضعة أشهر من خلال الانتفاضة الشعبية العارمة لشهر يناير ١٩٨٤، وكان الخطاب الرسمي قد التجأ وقتها الى اتهام الصهاينة بالوقوف وراءها ــ أى الانتفاضة ــ محاولة منه للتغطية والتمويه عن

الدوافع الداخلية الحقيقية، فجاءت استضافة الصهاينة الحقيقيين تكذيبا ساطعا لذلك!

ولقد عبر أحد الصهاينة المشاركين في المؤتمر عن ذلك بقوله: "ان حضورنا سيزيد من أهمية الملك الحسن في الولايات المتحدة ولدى اليهود في العالم أجمع". كما أن ادغار برونفمان في كلمته أمام المؤتمر لم تفته الاشارة الى أن اللوبي اليهودى في الكونغرس سيضاعف دعمه للمغرب في مجال المساعدات الامريكية لهذا الاخير.

الى ذلك، "تصادف" انعقاد المؤتمر الصهيوني مع اجراء المناورات العسكرية المغربية الامريكية المشتركة فوق التراب المغربي والتي دامت شهرا كاملا من ٢٤ أبريل الى ٢٤ ماى، ومع انعقاد الاجتماع الثاني للجنة العسكرية المشتركة بين البلدين برئاسة وزير الدفاع الامريكي كاسبار واينبرغر الذى قال في نهاية الاجتماع أنه لايعرف قوات عسكرية أخرى يحبذ أن تكون بجانبه عند الحاجة غير الجيش المغربي، مشيدا بـ"الدور الرائع الذى حققته اللجنة العسكرية المشتركة". وقد كان المتحدث باسم الجانب المغربي في الاجتماع المذكور قد أعلن بدوره أن المغرب "لايتردد في الدفاع عن السلام والحرية حتى خارج حدوده، عندما يعتدى على أصدقائه أو عندما يطلب منه أصدقاؤه الدعم". وفي أعقاب الاجتماع تقرر في البيت الابيض رفع قيمة "المساعدات" الاقتصادية والعسكرية الموجهة للرباط. ومن المعروف أن التحالف بين النظام المغربي والادارة الامريكية قد عرف تدعيما نوعيا منذ صعود ريغان الى السلطة بشكل خاص، وتجسد على المستوى العسكرى بابرام اتفاقية ٢٧ ماى ١٩٨٢ التي منحت الولايات المتحدة مزيدا من القواعد والتسهيلات العسكرية المتنوعة، استجابة لحاجيات قوات التدخل السريع المرتبطة بحاجيات الكيان الاسرائيلي على وجه التحديد (٣٠).

أدوار صهاينة المغرب: الطابور الخامس

في ردها على الانتقادات التي أثارها انعقاد المؤتمر الصهيوني بالمغرب، حرصت أجهزة الاعلام المغربية على القول بأن المغرب "حر في استدعاء اليهود المغاربة أينما كانوا" وأنه "حر في أن ينظم فوق ترابه كل المؤتمرات التي يريد". والحالة أن اليهود "المغاربة "يعتبرون أنفسهم اسرائيليين بالكامل "يدينون

بالولاء للصهيونية ويخوضون كل معاركها ضد العرب، بما في ذلك ضد المجموعات العسكرية التي حرص الاعلام الرسمي المغربي على تذكيرنا بأن الملك أرسلها للقتال الى جانب الجيوش العربية في الحروب مع اسرائيل" (٣١). وكان هارون أبوحصيرة قد أوضح دعوته الملك المغربي لزيارة اسرائيل قائلا: "اننا عندما نرجو من ملك المغرب أن يزور جاليته اليهودية المقيمة في اسرائيل، فنحن لانطلب منه أن يتخلى عن مواقفه أو مواقف البلدان العربية بشأن مشكلة الشرق الأوسط" (٣٢). ويعني ذلك بعبارة أخرى وجود تفاهم ضمني حول دور اليهود المغاربة، وهو ماعبر عنه أيضا دافيد عمار رئيس مجلس الطوائف اليهودية بالمغرب عندما صرح لبلة اللقاء الصهيوني بالرباط: "اننا نريد بهذا المؤتمر تكريس دور مجلسنا وسط اليهودية العالمية" (٣٣).

وهنا لابد من التوقف للتذكير بالمضمون الحقيقي للولاء اليهودى كمرتكز أساسي تقوم عليه الحركة الصهيونية. فالاديولوجية الصهيونية قامت ولاتزال على الادعاء بأن العودة الى "الارض الموعودة" هي جوهر المسألة اليهودية. ثم أصبحت تؤكد أن "اسرائيل" هي المركز الروحي لـ"شعب يهودى متحد"، وعلى هذا الاساس يطالب الصهاينة بجنسية مزدوجة لليهود ويسعون الى توفير شرعية دولية لهذه المطالبة، وأيضا تسهيل هجرتهم الى فلسطين: "ان الصهيونية التي تطرح نفسها على أنها الحل الاوحد للمسألة اليهودية تعني أولا وقبل كل شئ ضرورة العودة الى الوطن القومي المزعوم، وأى شئ خلاف هذا ليس سوى اعتراض لفظي ليس له قيمة كبيرة. واذا أراد المرء أن يعطي اصطلاح "صهيونية" مضمونه الصحيح فلا نجده يعني الا شيئا واحدا أساسيا هو نقل السكان اى الهجرة" (٣٤). وقد تحدث ناحوم غولدمان أكثر من مرة عن الولاء اليهودى بقوله: "يجب اقناعهم ـ أى اليهود الذين يعيشون في أنحاء العالم ـ بأنهم على حق تام بأن يربطوا مصيرهم بمصير اسرائيل. وعليهم أن تكون لديهم الشجاعة الكافية للاقلاع عن فكرة اخلاص اليهود للدول التي يعيشون فيها" (٣٥). ونذكر هنا بأن ناحوم غولدمان، وهو أحد زعماء الصهيونية البارزين، من أوائل من وضعوا أسس العلاقات المغربية الاسرائيلية.

على أن فكرة "اليهودى الخالص" هذه واجهت عقبات عدة فرضت تنازلا على الصعيد التكتيكي، فأصبح الصهاينة يطالبون الافراد ذوى الاصل اليهودى بأن يكون لهم انتماء ثنائي أى أن انتقالا حدث من "اليهودى الخالص" الى "اليهودى المزدوج" الذى يمكنه أن ينتمي الى مجتمعين ووطنين في آن واحد. وعليه أخذت

المطالبة بأن يحق لليهود حمل جنسية مزدوجة. وبذلك "حوّل هذا الانتقال اليهود في بلاد العالم الى "طابور خامس" للامبريالية العالمية والصهيونية ودولتها اسرائيل" ، دون أن يغير ماهية أفراد هذا الطابور" (٣٦) .

ولقد نشط الصهاينة المغاربة على هذا الاساس بالفعل ، وأصبحوا يجاهرون بولاءهم لاسرائيل ويقيمون تظاهرات صهيونية محضة ، سواء على أرض المغرب أو خارجه. وهكذا قطعت خطوة جديدة في اتجاه تركيز دور الطابور الخامس الذى يلعبه هؤلاء ، حيث لم يعد الامر يقتصر على استعمال تغطية "مجلس الطوائف اليهودية بالمغرب" ، بل تم انشاء اطار أوسع أطلق عليه اسم "التجمع العالمي لليهود المغاربة" الذى عقد مؤتمره الاول يومي ١٧ و١٨ أكتوبر ١٩٨٥ بمونتريال عاصمة كندا ،بمشاركة زهاء ١٥٠ مندوبا قدموا من "اسرائيل" وثمانية دول أخرى ، وقالوا ان مبرر اجتماعهم هو انحدارهم جميعا من "أصل مغربي" . وانتخب التجمع رئيسا له دفيد عمار الذى أعلن أن من يسميهم ذوى الاصل المغربي متعددوا الولاءات فهم موالون للبلد المضيف وموالون لاسرائيل التي أعلن اشتراك المؤتمرين في التضامن معها .. وينوب عنه في الرئاسة رفائيل ايدرى رئيس مجموعة حزب "العمل" في الكنيسيت الصهيوني. ولم يخف ايدرى أن انعقاد هذا التجمع سوف "يساعد على فتح مفاوضات مباشرة بين اسرائيل ووفد أردني فلسطيني برئاسة الملك حسين لاتمثل فيه م.ت.ف وذلك فوق أرض المغرب" .

وقد شارك دفيد عمار في اجتماع المؤتمر اليهودى العالمي الذى أنهى أشغاله يوم ٣٠ يناير ١٩٨٥ بالقدس المحتلة. وذكرت وكالة الانباء الفرنسية ، نقلا عن الصحيفة الاسرائيلية "دافار" أن دفيد عمار قدم تقريرا ضافيا أمام الاجتماع حول نتائج جهوده من أجل جلب الاموال من اليهود المغاربة الاثرياء المتعاطفين مع اسرائيل لتطبيق خطط الاستيطان التي أقرتها الحكومة الاسرائيلية وتوفير الشغل لليد العاملة في المستوطنات الجديدة. كما أشارت الوكالة الى أن دفيد عمار نفسه يساهم بقسط كبير من رساميله الطائلة في تنمية المشاريع الاستيطانية ، ضمن استراتيجية تهويد الاراضي العربية المحتلة ونهب ممتلكات أبناء الشعب الفلسطيني وطمس معالم الشخصية الوطنية الفلسطينية.

وفي أواخر شهر ماى ١٩٨٦ ، قدم الى المغرب أكثر من مائتي "يهودى اسرائيلي" بدعوى المشاركة في احتفالات "هيلولة" ، برعاية مجلس الطوائف اليهودية بالمغرب الذى يتزعمه دفيد عمار. وكان على رأس الصهاينة الوافدين الى المغرب والذين قاموا بزيارة أكثر من منطقة مغربية ، اسحاق بيريتز ورفائيل ايدرى من

حزب "العمل" وميير شيتريت من تكتل الليكود ، اضافة الى هارون أبوحصيرة.. وكلهم كانوا من المشاركين في مؤتمر الرباط في شهر ماى ١٩٨٤ .

هذا وقد "شارك وفد اسرائيلي من ٢٥٠ عضوا برئاسة رفائيل ايدرى في الاحتفالات التي أقيمت في أيار/يوليو الماضي بمناسبة عيد ميلاد الملك الحسن الثاني. وقد تردد في حينه أن ايدرى حمل رسالة من رئيس الوزراء شمعون بيريز الى الملك المغربي" (٣٧) . وكان ذلك قبل أسبوعين فقط من زيارة بيريز للمغرب وانعقاد قمة ايفران.

أهداف قمة ايفران

وهكذا نرى أن لقاء ايفران لم يأت معزولا عن هذا السياق المكثف الذى شهدته العلاقات المغربية الاسرائيلية. وبدون الرجوع الى ماتداولته وسائل الاعلام حول المظاهر الخارجية لهذا اللقاء ، من الضرورى التركيز على التقاط دلالاته التطبيعية بالنسبة للمرحلة القادمة ، على خلفية "الرصيد" الذى حققته العلاقات مع الكيان الصهيوني لحد الان.

وأول ما ينبغي التأكيد عليه في هذا الصدد هو أن الدافع الرئيسي وراء اخراج علاقات الطبقة الحاكمة في المغرب مع قادة وممثلي العدو الصهيوني من مرحلة السرية أو شبه السرية الى دائرة الضوء والعلنية يكمن في ضرورة تأمين أقصى الدعم الامريكي والغربي من أجل التخفيف من مظاهر الازمة الاقتصادية والمالية التي تعيشها الدولة المغربية على الخصوص منذ بداية العقد الحالي ، وبالاخص مع دخول الدول الخليجية نفسها مؤخرا عهد انخفاض أسعار النفط.. ولتحقيق هذا الهدف ، تأمل الطبقة الحاكمة في تحريك اللوبي اليهودى في الولايات المتحدة وداخل الاوساط المالية الدولية، وتوظيف دور اليهود "المغاربة" لخدمة هذا التحرك نفسه.

وفي هذا الصدد ، أشارت مصادر عدة في واشنطن الى دور هنرى كيسنجر في ترتيب لقاء ايفران باعتباره رئيس اللجنة الامريكية المغربية. ومنذ انتخابه رئيسا لهذه اللجنة قبل سنة ونصف السنة تقريبا ، وهو يسعى جاهدا لمضاعفة حجم المساعدات الاقتصادية للمغرب ، ان كان بواسطة الكونغرس أو بواسطة البنك الدولي. وكانت الديون المترتبة على المغرب قد وصلت الى ١٧ مليار دولار بحيث لم تعد الحكومة المغربية قادرة على تسديد التزاماتها السنوية (٣٨) .

وقد أشار رضا غديرة الى هذا الاهتمام نفسه في مقال له بمجلة "تايم" الامريكية التي خصصت ملحقا دعائيا ضخما للمغرب في أعقاب لقاء ايفران. فبعد أن أكد أن "المغرب عضو كامل العضوية في المعسكر الغربي وقلعة متقدمة للدفاع عن هذا المعسكر"، اعتبر ان ما تتلقاه الحكومة المغربية من مساعدات أمريكية لايتناسب على حد قوله مع "مساهمة المغرب في الدفاع عن استقرار العالم الحر" (٣٩).

لكن خطوة الانفتاح العلني على العدو الصهيوني التي أقدمت عليها الطبقة الحاكمة في المغرب عبر لقاء ايفران ـ وبالتوقيت الذى اختير لها ـ ترمي من جهة أخرى الى تسريع وتيرة اللحاق العربي بكامب ديفيد واستكمال مساعي المخطط التصفوى للقضية الفلسطينية. وهذا ما تجلى من خلال التطورات التي أعقبت لقاء ايفران مباشرة، وفي مقدمتها "التنفيس" على النظام المصرى وتسهيل عقد قمة مبارك/بيريز بالاسكندرية.. وفي هذا الصدد أيضا يتهيأ النظام المغربي لاستئناف العلاقات الدبلوماسية الرسمية قريبا مع القاهرة، بينما يتم التمهيد لحل الجامعة العربية وتأسيس منظمات اقليمية بديلا عنها، مما يعني فتح الطريق علانية للتعامل مع العدو الصهيوني!

ومن هنا فالمنتظر أن يكثف النظام المغربي علاقاته مع الكيان الصهيوني، كاستمرار لـ"المنجزات" السابقة من جهة، وكدليل معلن عن ارادة التطبيع ودعوة غير مباشرة لباقي الدول العربية لسلوك النهج التطبيعي اياه. وهذا ما عبر عنه وزير الدولة المغربي أحمد العلوى في مقابلتين مع صحيفتي "دافار" و "جيروزاليم بوست" الاسرائيليتين، حين قال ان لقاء ايفران نجاح على المدى البعيد: "ان الانجاز الاول يكمن في حقيقة أن الاجتماع انعقد علنا أمام العالم كله، وبالنسبة لي هذه نقطة تحول تاريخية (...) لاشك في أن هناك من الان فصاعدا تغييرا ماديا ونفسيا في العلاقات بين اسرائيل والدول العربية" (٤٠).

وفي هذا المجال وجهت السلطات المغربية الدعوة الى وزير النقل الاسرائيلي حاييم كورفو للمشاركة في ندوة دولية حول النقل ستنعقد قريبا في المغرب. وكان شمعون بيريز قد أبلغ التلفزيون الاسرائيلي قوله أنه "جرت وتجرى وستجرى اتصالات مع المغرب".. وهذا في الوقت الذى أصدرت فيه السلطات الاسرائيلية قانونها القاضي بتحريم أى اتصال سياسي بين "المواطنين الاسرائيليين" وأعضاء منظمة التحرير الفلسطينية!

خاتمة

ان مجمل هذه الوقائع التي طبعت العلاقات المغربية الاسرائيلية على مدى أزيد من ثلاثين سنة، وما اتسمت به من استمرارية وتواصل.. لتبين بوضوح أن قيام وتطور تلك العلاقات على النحو الذى وصفناه ليسا وليدى الصدفة، بل هما النتيجة الطبيعية لنهج ثابت وسياسة قارة مارستها وتمارسها الطبقة الحاكمة في المغرب، في اطار ارتباطها وتحالفها الوثيق مع الامبريالية الامريكية. وبالامكان تلخيص "فلسفة" الطبقة الحاكمة حول الصراع العربي الصهيوني في عدد من المنطلقات الاديولوجية والسياسية أساسها:

اولا: اعتبار الصراع العربي الصهيوني نزاعا ذا مستويين: نزاع عربي يهودى ثم نزاع عربي اسرائيلي، وأن الاول يطغى على الثاني. واذا ما أزيل النزاع بين العرب واليهود، يزول بالنتيجة النزاع العربي الاسرائيلي.. وهو ما يقود الى نظرية "الحاجز النفسي" الشهيرة التي برر بها السادات زيارته الى القدس المحتلة، حيث قال ان السبب الاساسي في النزاع مع اسرائيل هو سبب نفساني!

والواقع أن تصوير الموضوع بهذه الطريقة انما القصد منه تبرير الدعوة الى ما يسمى بالحوار والتسامح العربي اليهودى، أى بعبارة أخرى الحفاظ على شروط التعامل ليس مع اليهود فقط، بل في النهاية مع "اسرائيل" باعتبارها "دولتهم". والحقيقة أن هذا التعامل يتخذ، بالنسبة للطبقة الحاكمة في المغرب، صورة الشراكة الاقتصادية والسياسية لما ذكرناه سابقا حول دور اليهود "المغاربة" في ضمان مصالح هذه الطبقة وتدعيم تحالفها مع الادارة الامريكية ومع كافة المراكز الرأسمالية العالمية. وبهذا نفهم لماذا لم يجد رئيس الدولة المغربي أى حرج في تبني المفهوم الاسرائيلي للسلام: "السلم بالنسبة لاسرائيل هو فتح التعامل البشرى بينها وبين جيرانها: فتح الحدود، التبادل الدبلوماسي، التبادل التجارى، مشاريع اقتصادية مشتركة، استثمار أموال مشتركة.. هذا هو السلم الذى تعنيه اسرائيل، واعتقادى أنا شخصيا أنه اذا توصل العالم العربي الى التعايش مع اسرائيل على هذا النمط، أظن أن المنطقة ستصبح من أقوى مناطق العالم" (٤١).

ثانيا: اعتبار أن المهم بالنسبة للعرب والفلسطينيين ليس هو تحرير الارض، ولكن تحرير الانسان. ففي حديث له مع راديو فرنسا الدولي في نهاية عام ١٩٨٥، قال رئيس الدولة المغربي: "ماذا سنجد غدا عندما نستعيد الضفة الغربية؟ سنجد أناسا مقطوعي الجذور لن يصلحوا لا لاسرائيل ولا للعالم العربي. ماذا ستكون خميرة الشرق الاوسط غدا، بعد عشرة أو خمسة عشر سنة؟ ان ما ينبغي للعرب في نظرى هو أن يعملوا بكل الوسائل ليس لتحرير الارض ولكن لتحرير الانسان اذا ما أرادوا أن يسترجعوه.. والا فبعد خمس سنوات سيصبح هؤلاء الناس أكثر مضرة للعالم العربي مما هو عليه الوضع الان". وقد كان أكثر وضوحا عندما قال في مقابلة أخرى، متحدثا عن الفلسطينيين بالاراضي المحتلة: "انه حتى ولو أعطيني كل شئ لاحكم هؤلاء الناس، لابتعدت عنهم كما أبتعد عن الطاعون. انهم سيتحولون الى سرطان يهدد الانسانية أو المنطقة على الاقل" (٤٢).

وبذلك ندرك أن المرمى الحقيقي للدعوة الى "تحرير الانسان" بهذا المفهوم ليس شيئا آخر سوى تطبيق التسوية القائمة على دمج الفلسطينيين (كاشخاص) ضمن مشروع ما يسمى بالحكم الذاتي أو أية صيغة أخرى من هذا القبيل، أى "الادارة الذاتية" للاشخاص وليس للارض أو الممتلكات الفلسطينية. انه بعبارة أخرى مخطط لايتعارض مع توسيع المستوطنات الصهيونية في الاراضي المحتلة، وهو ما يشكل باختصار جوهر مشروع ريغان والشق الثاني من كامب ديفيد بعد ادخال بعض التعديلات الشكلية الطفيفة عليه حتى يكون مقبولا من طرف من

تحفظوا على صيغته الاولى. وهذا ما عبر عنه رئيس الدولة بقوله: "ان مخطط فاس يتضمن الاعتراف باسرائيل واذا ما أدمجناه مع مخطط ريغان ـ فهما لايتعارضان ـ فقد تتضاعف حظوظ التوصل الى حل ما" (٤٣).

ثالثا: اعتبار النخبة الحاكمة في المغرب الكيان الصهيوني كيانا حضاريا ينبغي الاستفادة من "عبقريته الخلاقة". ولاشك أن هذه النخبة قد تشبعت منذ اتصالاتها الاولى مع الصهاينة، وحتى قبل ذلك، بالصورة التي ترسمها اسرائيل لنفسها. وفي هذا الصدد، يقول الشهيد المهدى بنبركة: "لقد حرصت اسرائيل على أن تكون من نفسها وتعطي لوجهها صورة تناسب وتمهد لتغلغلها في افريقيا. فقد أرادت أن تكون بالنسبة للدول المتخلفة وبالنسبة لدول افريقيا الفتية بالخصوص النموذج المثالي الذى يجب أن يحتذى والنموذج الذى يجب أن يمنح لهذه الدول الخبرة التي هي في حاجة اليها لمواجهة المشاكل التي تجدها أمامها غداة الاستقلال.. نعم ان هذه أسطورة، ولكنها أسطورة كان لها مفعول" (٤٤).

ان الوجود الصهيوني في المغرب استفاد، ليس فقط من نشاط اليهود "المغاربة" وشراكتهم الاقتصادية مع الطبقة الحاكمة، بل استفاد ويستفيد أساسا من طبيعة هذه الطبقة نفسها، أى من تحالفها العضوى مع استراتيجية الاستعمار الجديد واديولوجيته. ان الصهيونية، كما كتب الشهيد عمر بنجلون، "تستفيد الى حد كبير ليس فقط من الافكار التي غرسها الاستعمار، ولكن أيضا من كل ارتباطات البلاد الثقافية والتقنية واللغوية بقوة المستعمر القديمة، وهي ارتباطات تسهل انتشار جميع وسائل الاخبار التي عملت الصهيونية على تجذيرها أو مراقبتها بدرجة أو بأخرى. ان هذا يبين الى أى حد تستطيع الصهيونية في بلادنا أن تكسب صفة الحياد بل وتحالف أطر بلادنا الموضوعي. ولهذا، فالحضور الثقافي والاديولوجي للاستعمار الجديد يكونان شيئا واحدا ويؤثران مباشرة على تفكير مثقفينا، وان مواقف هؤلاء ازاء المشكل الفلسطيني لاينفصل عن سلوكهم تجاه المشاكل الداخلية للتحرر الاقتصادى والاجتماعي ولاينفصل بالمثل عن النضال ضد الامبريالية وعملائها" (٤٥).

المراجع

(١) ساموبل سيكيف : عملية ياخين ، ١٩٨٤.

(٢) "دور المخابرات الاسرائيلية في اغتيال بنبركة" ، "البلاغ" اللبنانية ــ ١١ يناير ١٩٧٦.

(٣) ستيوارت ستيفن : أساتذة التجسس في اسرائيل ــ لندن ١٩٨١.

(٤) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ، الطبعة ٧ ، ش.م.ت.ن ــ بيروت ١٩٨٣.

(٥) أفريك آزى ، العدد ٣٢٣ ــ ٤ يونيو ١٩٨٤.

(٦) عبد المالك التميمي : "اليهود والصهيونية في المغرب العربي" ، قسم التاريخ بجامعة الكويت.

(٧) محمد بنونة : مقالات في المغرب السياسي ــ ١٩٧٢.

(٨) مذكرات ناحوم غولدمان، نقلا عن الصافي سعيد : "قصة الاتصالات السرية بين المغرب واسرائيل (١٩٧٠/١٩٨١) ــ الحلقة الاولى ، السفير ٣٠ مارس ١٩٨١.

(٩) تامر غولان : "العلاقات السرية بين النظام المغربي واسرائيل" ، "معاريف" ــ ٢٨ يوليو ١٩٧٨ ، نقلا عن مجلة "الارض" الفلسطينية ــ ٧ نونبر ١٩٨١.

(١٠) رفائيل مرغي : "المغرب واسرائيل واليهود" ، جون أفريك ، العدد ٩٠٤ ــ ٣ مايو ١٩٧٨.

(١١) الصافي سعيد : المرجع السابق.

(١٢) "مزارع المغرب تستحلي بقر اسرائيل" ، الدستور ــ ٧ يوليو ١٩٧٧.

(١٣) رفائيل مرغي : المرجع السابق.

(١٤) تامر غولان : المرجع السابق.

(١٥) الصافي سعيد : المرجع السابق ، الحلقة الثانية ، السفير ــ ٣١ مارس ١٩٨١.

(١٦) تامر غولان : المرجع السابق.

(١٧) هآرتس ــ ١٧ يونيو ١٩٧٧.

(١٨) رفائيل مرغي : المرجع السابق.

(١٩) النهار ــ ٨ يونيو ١٩٧٧.

(٢٠) "ماذا يجرى في المغرب وماهو هذا الحوار مع اليهود ؟" ، "الرأى العام" الكويتية ــ ١٩ يونيو ١٩٧٧.

(٢١) مذكرات موشي ديان تحت عنوان : الاختراق، قصة المفاوضات السرية بين

مصر واسرائيل ، نقلا عن جريدة "الزحف الاخضر" ــ ٩ مارس ١٩٨١.

(٢٢) تامر غولان : المرجع السابق.

(٢٣) معاريف ــ ١٣ ديسمبر ١٩٧٧.

(٢٤) الصافي سعيد : المرجع السابق.

(٢٥) تامر غولان : المرجع السابق.

(٢٦) عدنان حسين : "العلاقات المغربية الاسرائيلية : ١٥ عاما من الاتصالات على أعلى مستوى" ، الهدف ، العدد ٧٢٣ ــ ٢١ ماى ١٩٨٤.

(٢٧) تامر غولان : المرجع السابق.

(٢٨) عدنان حسين : المرجع السابق.

(٢٩) لوموند ــ ١٦ ماى ١٩٨٤.

(٣٠) للمزيد من التفاصيل، انظر الدراسة حول "المصالح العسكرية الامريكية في المغرب وانعكاساتها في الوطن العربي" ، مجلة "الوطن" ، العدد ١ ــ مارس ١٩٨٦.

(٣١) حسن السبع : "الجسور المفتوحة بين المغرب واسرائيل : العراب من كامب ديفيد الى الخيار الاردني" ، السفير ــ ٢٣ يوليو ١٩٨٦.

(٣٢) من تصريح لوكالة الانباء الفرنسية ، نقلا عن جريدة لوموند ــ ١٦ ماى ١٩٨٤.

(٣٣) جريدة "لوماتان" الفرنسية ــ ١٢/١٣ ماى ١٩٨٤.

(٣٤) د. عبد الوهاب المسيرى : الاديولوجية الصهيونية ــ الكويت ، ١٩٨٢.

(٣٥) عز الدين سلامة : "الولاء اليهودى : جسر الى الاهداف الصهيونية" ، الهدف العدد ٧٢٣ ــ ٢١ ماى ١٩٨٤.

(٣٦) عز الدين سلامة : المرجع السابق.

(٣٧) حسن السبع : المرجع السابق.

(٣٨) سليم نصار : "دور كيسنجر في التحضير للقاء ايفران" ، المستقبل ، العدد ٤٣٩ ــ ٢ غشت ١٩٨٦.

(٣٩) تايم ــ ٢٨ يوليو ١٩٨٦.

(٤٠) السفير ــ ٢٨ يوليو ١٩٨٦.

(٤١) الوطن العربي ــ ٧ نونبر ١٩٧٧.

(٤٢) من مقابلة مع "مجلة العالَمين" الفرنسية ــ أبريل ١٩٨٦.

(٤٣) "مجلة العالمين" : المرجع السابق.

(٤٤) المهدى بنبركة : اسرائيل في افريقيا.

(٤٥) عمر بنجلون : سلوك أطرنا تجاه المشكل الفلسطيني.

٤ ـ لقاء ايفران : تعليقات ومواقف

الصفحات التالية خصصناها لنقل مقتطفات من بعض الصحف العربية ("اليوم السابع"، "اليسار العربي") التي تناولت خلفيات وابعاد لقاء ايفران، ومقياس اختيارها هو كونها تتضمن عناصر تحليل تلقي بعض الاضواء على ذلك اللقاء، ومن ثم فهي تشكل مادة تكميلية للجزء الذى تطرقنا فيه الى "اهداف قمة ايفران" في هذا الكتاب.

كما خصصنا جزءا آخر لتعليقات ومواقف عدد من الصحف المغربية من اللقاء ايضا ("العلم"، "البيان"، "المسار"، "الوطن")، وغني عن التوضيح ان مسؤوليتها ترجع الى تلك الصحف نفسها.

استقبال بيريز في المغرب
خطوة في المجهول

الربح الاسرائيلي

(...) اسرائيل في الواقع لا تملك الا ما تربحه. فبعد ٨ سنوات على زيارة الرئيس المصرى أنور السادات الى القدس المحتلة هاهو رئيس وزرائها يحط في دولة عربية ليلتقي زعيمها. ولا توجه الخطوة ضربة الى المقاطعة العربية لاسرائيل، بل فوق ذلك، تقفز فوق واقع بدأ بالارقام منذ ١٩٨١، أى منذ استلام الرئيس حسني مبارك مقاليد السلطة في مصر وامتناعه عن أى لقاء قمة مع الاسرائيليين. ثم ان ذلك يأتي بعد سقوط اتفاق ١٧ أيار (مايو) في لبنان وبروز الفكرة القائلة بان أى تسوية منفردة مع تل أبيب تتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني ووضع الاراضي العربية المحتلة (الجولان، طابا، جنوب لبنان، بالاضافة الى الضفة الغربية وقطاع غزة طبعا) هي تسوية محكوم عليها بالفشل.

ففي هذه المرحلة كانت اسرائيل، في عهد بيريس أساسا، تحاول امساك العصا من طرفيها: المضي في التصلب وابداء الرغبة في "السلم"، التظاهر بالانسحاب من لبنان والاحتفاظ بـ"الشريط الحدودى"، رفض التخلي عن النصف كلم مربع فى طابا، رفض البحث في موضوع الجولان، مطاردة التعبير الوطني عن الشعب الفلسطيني ورفض أى حل يتيح لهذا الشعب حقه في ممارسة حقوقه الوطنية. وكان الهدف الاسرائيلي الواضح دفع الوضع العربى الى حد القبول بالفتات المعروض عليه.

بهذا المعنى فان الزيارة، بمجرد حصولها، كسب سياسي خالص لتل أبيب، ثم انها فوق ذلك كسب لحزب "العمل" ولشمعون بيريس شخصيا (...) لقد طار بيريس فرحا قبل أن يطير الى المغرب. فالزيارة تحقق له هدفه وتشكل، فوق ذلك، رسالة الى ناخبين اسرائيليين يرغب حزب "العمل" بكسبهم الى جانبه. فالمعروف أن عدد الاسرائيليين من أصل مغربي يتجاوز نصف المليون، والمعروف أنهم احتفظوا بعلاقات "جيدة" مع سلطات بلدهم الاصلى، ولذلك فان لقاء قمة بين المغرب واسرائيل يجعلهم يكتشفون في شمعون بيريس "مواهب" كانوا يرونها في مناحيم بيغن أو ورثته في "الليكود".

وتكفي قراءة سريعة في ردود الفعل الاسرائيلية على الزيارة لتؤكد أن بيريس حقق أغراضا كثيرة منها. اسحق شامير مثلا، أعلن أنه علم بها مسبقا وأن بيريس لا يملك تفويضا لعقد اتفاقات. وهذا "الترحيب المتحفظ" يعبر بدقة عن موقف "الليكود" الذى يعرف مكاسب اسرائيل من وراء الحدث لكنه يرفض تحييرها لصالح "حزب العمل". القيادات الاسرائيلية الاخرى أفاضت في التأييد. عيزر وايزمان أعرب عن غبطته، ورئيس الدولة حاييم هرتسوغ اعتبر الزيارة "عظيمة ولو لم تؤد الى نتائج". وكان وزير الخارجية السابق ايبا ايبان واضحا حين قال: "هدف اللقاء هو اللقاء بحد ذاته. اظهار أن زعيم دولة عربية يستطيع أن يلتقي علنا برئيس وزراء اسرائيل...". لايعني ذلك أن هؤلاء لن يحاولوا الحصول على مكاسب اضافية انطلاقا من الزيارة ولكنه يعني أن مجرد حصولها هو مكسب كبير لهم.

الخسارة العربية

هل يستطيع أحد أن يقول الشيء نفسه عن الجانب المغربي والعربي؟ أليس صحيحا أن أقل ما يمكن قوله، انطلاقا من مصالح الجانب المغربي والعربي،

أننا أمام "قفزة في المجهول"، وأن هذا المجهول قد يكون هاوية جديدة؟

(...) ان اسرائيل، ومن وراءها الولايات المتحدة الامريكية، لم تفعلا في الاشهر الاخيرة سوى تصعيد الضغوط. ففي تل أبيب عقد مؤتمر حزب "العمل" وخرج بقرارات واضحة حول حدود التسوية المقبولة منه: السلام مقابل اعادة قسم من الضفة والقطاع واقتسام النفوذ مع الاردن على القسم الباقي. اقتطاع جزء من الاراضي الفلسطينية المحتلة لضرورات أمنية. عدم البحث في موضوع الجولان. ومن المؤكد أن الحزب المذكور تراجع، في مؤتمره الاخير، عن المشروع الشهير بـ"مشروع آلون" الذى كان يعد باعادة المزيد من الاراضي للعرب. ورافق المؤتمر تصلب حيال منظمة التحرير، وتشدد حيال العرب تحت الاحتلال، وعودة الى تأكيد التواجد المباشر في جنوب لبنان. وليس سرا أن هذا التصلب الاسرائيلي كان محميا بتطور العلاقات الاستراتيجية بين تل أبيب وواشنطن ووصولها الى ذروة لم يسبق لها أن وصلتها. ولعل التعبير الامثل عن تطور هذه العلاقات انخراط الولايات المتحدة المباشر في مواجهات عسكرية مع دول عربية، وتصعيدها الحملة على العرب تحت حجة "مكافحة الارهاب" وامتناعها عن تزويد أقطار عربية بالسلاح الدفاعي لمجرد أنها أدانت العدوان الامريكي على ليبيا واستمرت في تقديم الدعم لمنظمة التحرير الفلسطينية.

ويصعب القول، أمام هذه الوقائع، أن التوازن مال لصالح العرب مما أرغم اسرائيل على التراجع فبات لدى رئيس وزرائها اقتراحات مقبولة يعرضها على أى طرف عربي.

في مقابل ذلك يمكن القول ان الاوضاع العربية تراجعت الى حد بات يخشى معه ان تكون وصلت الى حيث المزيد من التراجع هو الحل الوحيد المطروح عليها.

ليس تفصيلا أن يكون سعر برميل النفط، اليوم، على مستوى أدنى مما كان عليه عام ١٩٧٣. فهذا مؤشر على أمرين على الاقل: الاول هو أن الدول العربية، أساسا، وصلت الى حد من التشرذم والضعف لم يعد بامكانها معه الدفاع عن هذا الحد الادنى من مصالحها الاقتصادية (ناهيك عن مصالحها القومية العليا) والثاني هو أن هذه الدول لم تعد تستطيع (أو هي لا ترغب؟) في أن تساعد بعضها من أجل تجاوز أزمة اقتصادية تعصف ببعض أقطارها وبشدة لاسابق لها.

قبل أيام كان الرئيس المصرى يجول في أوروبا طالبا مساعدات اقتصادية لبلاده. وثمة من يربط الخطوة المغربية بالرغبة في تطوير العلاقات مع أوروبا

وأمريكا من أجل الحصول على دعم اقتصادى.

الى ذلك فان التطورات في المشرق لاتشجع كثيرا. فالخطوات الاردنية المتتالية ضد منظمة التحرير تؤكد أن عمان تسعى لان تكون جاهزة للتفاوض نيابة عن الشعب الفلسطيني، واستمرار دمشق في عدائها لقيادة منظمة التحرير و"السماح" للجيش السورى بالعودة الى بيروت يوحيان بأن سوريا قد تقبض فى لبنان ثمن اضعافها للمنظمة، والمناخ الذى قد يشيعه اللقاء في ايفران ربما سمح بخطوة أردنية منفردة لا تفعل الولايات المتحدة سوى التشجيع عليها.

عناصر التخوف موجودة كفاية، وردود الفعل العربية تؤكدها أكثر مما تنفيها اذ يلاحظ أن منظمة التحرير انفردت بالدعوة الى قمة عربية في حين حرى الاكتفاء بالمواقف السياسية والاعلامية عند الاخرين حتى كأن حدثا بهذه الاهمية لايستأهل لقاء واسعا تخرج عنه مواقف موحدة؟!

والمعروف أن المغرب لعب دورا في التمهيد للمعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية ثم لعب دورا في محاصرة الاثار العربية لهذه الاتفاقية وتعطيل تطبيق الشق الثاني منها، أى الشق المتعلق بالشعب الفلسطيني. ولعل أحد الدروس البارزة للتجربة المصرية ـ الاسرائيلية ان الرئيس انور السادات الذى ألقى خطابا "متشددا" أمام الكنيست يوم زيارته للقدس انتهى بتوقيع اتفاقات لا علاقة لها بهذا التشدد. والسبب العميق وراء ذلك أن التوازن المصرى ـ الاسرائيلي، والعربي ـ الاسرائيلي كان مختلا لصالح العدو. لذلك، وأمام القول بأن الجانب المغربي سيطرح على شمعون بيريس مقررات قمة فاس كاساس لتسوية مقبلة، لايسع المراقب الا أن يستحضر دروس الماضي ويبدى التخوف من أن يتدهور الامر، بفعل موازين القوى، الى ما هو أدنى بكثير من ذلك.

يصعب الجزم، عند كتابة هذه السطور، بالنتائج الفعلية والنهائية للقاء ايفران. لكن ما يمكن قوله هو أن اسرائيل حققت حتى الان مكسبا، وان الوضع العربي الراهن قد يحول لها هذا المكسب الى انتصار، وان المناخ والوقائع الجديدة ربما تشجع آخرين على خطوات منفردة تتحول، بالضرورة، الى كارثة على الشعب الفلسطيني والامة العربية.

جوزيف سماحة

"اليوم السابع" ـ ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٨٦

زيارة بيريز للمغرب
الجديد على جبهة الردة العربية

(...) قبل كل شيء تبدو زيارة بيريز للمغرب وكانها رد على التقدم الذى تحقق لفكرة عقد المؤتمر الدولي من خلال الموقف الذى اتخذه الرئيس الفرنسي ميتران أثناء زيارته الاخيرة للاتحاد السوفياتي واعلانه أنه كان في الماضي من أنصار المفاوضات المباشرة بين مختلف الاطراف العربية واسرائيل ولكنه عاد واقتنع على ضوء التجربة من أن التسوية في المنطقة بحاجة الى جهود جماعية والى مؤتمر دولي تشارك فيه الدول الخمس الكبرى. وبالواقع فقد جاء هذا اللقاء ليدحض هذه المقولة وليؤكد من موقع "عربي" ان لا بديل عن الطريق التي تدعو اليها الولايات المتحدة والعدو الصهيوني وفريق الخونة العرب.

ولقد أجرى العديد من الوطنيين العرب مقارنة بين موقف الملك الحسن الثاني هذا وموقف السادات الذى ما ان صدر البيان المشترك السوفياتي ـ الامريكي حول الشرق الاوسط، وهو البيان الذى سجل تراجعا للموقف الامريكي الداعم بدون أدنى تحفظ لاسرائيل وقبولا من الولايات المتحدة بصيغة للتسوية في المنطقة ليساهم فيها الاتحاد السوفياتي من موقع الصديق للوطنيين العرب، ما ان صدر ذلك البلاغ المشترك حتى عمد السادات، ومن موقع الخيانة، الى العمل للالتفاف عليه عن

طريق الذهاب مباشرة الى العدو لقطع الطريق على أى حل في المنطقة يعطي دورا للاتحاد السوفياتي وهو الامر الذى فضل السادات، انطلاقا من موقعه الطبقي، التضحية بالمصلحة الوطنية دون القبول به.

الزيارة اذن جاءت في ظروف شهدت تعثر التسوية الاميركية في المنطقة، بالرغم من كل التنازلات والتراجعات، لتشكل ضغطا يضاف الى الضغط الذى كان من المعروف أن بوش سوف يمارسه خلال الجولة التي سيقوم بها في المنطقة في نفس المرحلة الزمنية تقريبا، لتشكل ضغطا على الاطراف العربية التي وان كانت لا تعادى جوهر التسوية الاميركية الا أنها تتحفظ على الاطار الذى تجرى فيه وعلى بعض بنودها (وذلك أحيانا بسبب من "التزاحم" بين الاطراف التي تتنافس على تمثيل الشعب العربي الفلسطيني) ولتشكل أيضا، وكما أسلفنا القول، ضغطا على القوى الغربية التي غيرت او التي يمكن ان تغير موقفها من مبدأ الحلول المنفردة والمفاوضات المباشرة بين كل طرف عربي على حدة وبين الطرف الصهيوني.

وعلى ضوء ذلك يبدو كم كان مرائيا وكاذبا حديث النظام المغربي عن كون المحادثات التي جرت خلال هذه الزيارة لم "تحقق نجاحا" وان رئيس الوزراء الاسرائيلي لم يتراجع عن موقفه لا حول مسألة الانسحاب من الضفة والقطاع ولا حول مسألة الصفة التمثيلية لمنظمة التحرير الفلسطينية. فبالواقع ان الزيارة قد حققت كامل أغراضها. فليس هناك من ساذج يظن ان الهدف من ذلك اللقاء كان اقناع العدو بهذا أو ذاك من المواقف الوطنية العربية المبدئية. الغاية الاساسية كانت أن يتم اللقاء. وان يتم اللقاء فقط أما الباقي فأمور ثانوية.

البير فرحات

"اليسار العربي" ـ العدد ٧٨ / سبتمبر ١٩٨٦

بيان المكتب المركزى للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني

اجتمع المكتب المركزى للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني يوم ٢٢ ذى القعدة عام ١٤٠٦ الموافق لـ ٢٩ يوليوز ١٩٨٦ وبعد تحليل دقيق للوضعية التي تعرفها القضية الفلسطينية والساحة العربية عامة بعد اللقاء المفاجئ الذى تم بايفران مع الوزير الاول للكيان الصهيوني وبعد مناقشة عميقة لمختلف معطيات اللقاء وبسط موضوعي لكل الملابسات التي تطبع أوضاع وآفاق الاشكال العربي ودراسة متأنية لردود الفعل التي أعقبت الحدث، يذكر المكتب المركزى بالمواقف الثابتة للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني والتي تتلخص فيما يلي :

ان جوهر المشكل في الشرق العربي يكمن في اقرار حقوق الشعب الفلسطيني باسترجاع جميع أراضيه وتقرير مصيره واقامة دولته الوطنية التي عاصمتها القدس.

ان من حق الشعب الفلسطيني مواصلة الكفاح بجميع الوسائل التي من شأنها تحقيق تحرير جميع أراضيه واقرار حقوقه الوطنية.

ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وان الرأى العام الدولي أصبح يقر بهذه التمثيلية النابعة عن ارادة الشعب الفلسطيني.

ان واجب العرب حكومات وشعوبا هو مساندة نضال الشعب الفلسطيني ودعم الثورة ماديا وسياسيا بقيادة منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

ان التنكر لهذه المبادئ يضر بالقضية الاساس للامة العربية ويسيء الى مصداقيتها، والجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني ترى أن لقاء ايفران أكد مرة أخرى الطبيعة العدوانية للكيان الصهيوني وتعنته في رفض الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وممثله الشرعي الوحيد: منظمة التحرير الوطني الفلسطيني، واصراره على رفض الجلاء عن الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة.

ان هذا الموقف الذى أكده الوزير الاول للكيان الصهيوني يضع حدا لكل المساعي التي بذلت لايجاد حل سلمي وعادل للقضية الفلسطينية ورفض صريح لمقررات فاس التي كانت موضوع اجماع مؤتمر القمة العربي في شهر شتنبر ١٩٨٢.

كما ان هذا الموقف المتعنت والمتغطرس للكيان الصهيوني الذى قام أساسا على الاغتصاب يشكل تحديا للرأى العام الدولي وتهديدا للسلم والامن الدوليين ويستوجب من المجتمع الدولي العمل بحزم ضد اسرائيل بؤرة الحرب والعدوان في المنطقة والتي وقفت دائما عرقلة في سبيل احلال السلام.

وأمام هذه الوضعية ترى الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني ان الواجب الوطني يقتضي من العرب حكومات وشعوبا ان يراجعوا ضمائرهم ويعملوا بحزم ومسؤولية على تغيير ميزان القوى السياسي والعسكرى لصالح الامة العربية في معركة المصير وذلك بالمبادرة فورا الى ايقاف كل الخلافات العربية وتجاوز الانانيات والحساسيات الذاتية والابتعاد عن الشتائم والمزايدات وردود الفعل الانفعالية.

ويقتضي كذلك من الامة العربية تعبئة كافة الطاقات والامكانيات الاقتصادية والسياسية والعسكرية لاسترجاع مصداقيتها واعادة الفاعلية للعمل الجماعي العربي، الطريق الوحيد لانتزاع الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني في استرجاع أرضه وتقرير مصيره واقامة الدولة الفلسطينية.

والجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني تغتنم هذه الفرصة لتهيب بالشعب المغربي أن يضاعف من دعمه ومساندته للكفاح الفلسطيني حتى تحرر أرض فلسطين وتتحقق عودة الشعب الفلسطيني الى أرضه.

وانها لثورة حتى النصر

"العلم"

استمرار التعنت الاسرائيلي

اللقاء الذى عقده جلالة الملك مع شيمون بيريز في ايفران كان يستهدف تحقيق مقررات فاس باتصالات مباشرة بين جلالة الملك ورئيس الدورة الحالية للقمة العربية وشيمون بيريز رئيس حكومة الكيان الصهيوني.

ولم يكن هذا اللقاء للمفاوضة ولا للحصول على اتفاق مدقق بين المغرب واسرائيل، فقد صرح جلالة الملك أنه لا يملك ذلك. ثم ان المحادثات لم تكن لتصفية موضوع ثنائي بين المغرب والكيان الصهيوني، وانما كانت محاولة لتحقيق قرارات مؤتمر القمة في فاس المنعقد في سبتمبر ١٩٨٢.

وقد أكد البلاغ المشترك الذى صدر أمس ان جلالة الملك شرح كل عنصر من عناصر مشروع فاس الذى يمتاز بميزتين نظرا الى أنه يعتبر من جهة الوثيقة الوحيدة التي يراها جلالته صالحة موضوعيا لتكون قاعدة لسلام عادل ودائم، ولانه من جهة أخرى يحظى باجماع العرب عليه دون غيره من مشاريع ومخططات السلام.

وقد عرض جلالة الملك على بساط الدرس قضيتين أساسيتين تضمنهما مخطط فاس، أولاهما: الجلاء الكامل عن الارض المحتلة سنة ١٩٦٧، وثانيتهما: مخاطبة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

كان الموقف الاسرائيلي ــ على نحو ما كان منتظرا ــ هو استمرار التعصب والتعنت. فشيمون بيريز لا يريد أن يعترف بمنظمة التحرير رغم انه لا يمكن أن تحل المشكلة الا مع ممثلي الشعب الفلسطيني. واذا كان يراوغ ليقول انه يجد الفلسطينيين في كل مكان، ولا يعرف مع من يتخاطب، فانه متأكد من أن منظمة التحرير هي الهيئة التي يجمع على تمثيليتها أغلبية الشعب الفلسطيني وأغلبية الدول العربية، وأغلبية دول العالم شرقية وغربية، وكل دول عدم الانحياز ومعظم دول المؤتمر الاسلامي.

تجاهل شيمون بيريز اذن للمنظمة يؤكد حقيقة اسرائيل وتجاهلها للشعب الفلسطيني وممثليه الحقيقيين.

وشيمون بيريز لم يقبل الموضوع الاول الذى طرحه جلالة الملك مستمدا من مقررات فاس، وهو الجلاء الكامل عن الاراضي التي احتلتها اسرائيل بعد سنة ١٩٦٧ ولا يعني ذلك الا الاستمرار في الاحتلال وزيادة المستوطنات، ومنع الشعب الفلسطيني من أن يكون له كيان أرضي يكوّن عليه دولته المستقلة.

اذن هذه فرصة جديدة لتحريك مخطط فاس رفضتها اسرائيل انطلاقا من القاعدة التي قامت عليها وهي العدوان، والتشبث بنتائج الحروب وتجاهل شعب ظل على أرضه آلاف السنين ولم يطرد منها الا بوسائل العدوان العسكرى، الذى لا يصلح قاعدة لتكوين الدول و لا لهدم الشعوب.

ان العالم كله يشهد الان التعنت الاسرائيلي ويعرف الان انه لم تبق أية حجة بين أيدى اسرائيل لاستمرار التوتر الذى قد يفضي الى حرب أخرى. وقد شرح جلالة الملك لمخاطبه ان الوقت يسرع نحو حرب جديدة قد تكون مدمرة. واذا كانت الحروب لا تحل المشاكل، بل تزيد في تعقيدها فان اسرائيل لم تغتنم الفرصة التي أتيحت لها لتجعل من مقررات فاس قاعدة للتفاوض مع ممثلي الشعب الفلسطيني لانهاء التوتر.

لقد ازداد اتضاحا جوهر المشكل ويمكن أن يلخص في التعنت الاسرائيلي ورفض كل سبيل للوصول الى حل او الى سلام.

وقد وضع جلالة الملك المسؤولية الان على الدول العربية جميعها ليعلموا بعد الجواب الذى تلقاه من شيمون بيريز في الموضوعين الرئيسيين "ما يترتب على ذلك وما يجب اتخاذه من تدابير ومخططات".

وتبقى بعد هذا وذاك اسرائيل هي اسرائيل التي عرفها العالم سنة ١٩٤٨ و ١٩٦٧ الكيان الذى يقوم على العنصرية وعلى العقدة الدينية التعصبية، وعلى العدوان العسكرى، وعلى التنكر لكل حقوق العرب الفلسطينيين كشعب وكدولة، وعلى الاستمرار في احتلال أراضي الجيران، وعلى رفض كل خطوة سلام يخطوها طرف عربي.

اذا كان العرب يعرفون هذا فان الفرصة الجديدة من شأنها أن تقنع كل شعوب العالم المتحضر بان اسرائيل مستمرة في تعنتها. وان السلام ما يزال بعيدا، وظروف الحرب المستمرة تتضاعف. وليس ذلك بغريب على كيان نشأ بالحرب واستمر بالحرب ويعتبر أن مستقبله مرهون بالحرب.

"العلم"

٢٥ يوليوز ١٩٨٦

"البيان"

بخصوص زيارة شيمون بيريز

فوجئ العالم بالزيارة المباغتة التي قام بها مؤخرا الى المغرب الوزير الاول الصهيوني، شيمون بيريز.

وفي بلادنا، حيث أخبر الرأى العام بواسطة قنوات غير رسمية، فمن الواضح أنها أثارت حوا من الاندهاش.

لكن بمرور لحظات الذهول، بات من المتعين التمعن في مدلولية ومغزى الحدث بوضعه في العلاقة والمعطيات الملموسة لمشكل مستمر منذ أربعة عقود من السنين، ألا وهو: النزاع الاسرائيلي ـ العربي الذى تولد عن الاغتصاب الذى تعرض له الشعب الفلسطيني من طرف الصهيونية.

أجل، لايليق في السياسة ممارسة النفاق أو الهروب أمام الحقائق: فالدولة الاسرائيلية هي عدو الامة العربية التي يشكل المغرب جزءا لايتجزأ منها. ولقد قدمت بلادنا دلائل ساطعة على انتمائها للعروبة ولنضالاتها.

بيد أن العدو تجب محاربته... حتى اليوم الذى تترك فيه المواجهة، عند توفر الظروف المواتية لذلك، المكان للاتصالات ثم الحوار.

اذن، وكما يقول كلوزوفيتش، فان الحوار يمثل مواصلة الحرب بوسائل أخرى. فلا يمكن اذن أن يكون هناك اعتراض ولا رأى مسبق سلبي تجاه فعل سياسي لا مفر من

أن يأتي في هذا الظرف أو ذاك من كل مواجهة مهما كانت صعبة أو لا يمكن تلافيها.

لكن المشكل كل المشكل يكمن، بالذات، في تقدير الظرف وملائمته. ونقصد ـ "الظرف" وجود أو غياب الظروف الكفيلة بالافضاء الى نتيجة ايجابية.

انطلاقا من هذا التعريف، نرى بكل مسؤولية بان الشروط اللائمة لخطوة سلمية غير متوفرة حاليا...

ذلك أن الارادة في العمل على التوصل الى مخرج أو حل لوضعية توجد في طريق مسدود لا يكفي لضمان النجاح لمثل هذه العملية الحساسة. اذ ان هناك شروطا لا غنى عنها يتعين استيفاؤها حقها كليا، لانها تمثل بكل بساطة الضمانات الوحيدة لاحترام الحق والعدل والتوصل الى حل ايجابي.

والكل يعرف هذه الشروط التي ذكر بها مشروع فاس، الذى صادقت عليه وتبنته البلدان العربية بالاجماع بمبادرة من المغرب، في شتنبر ١٩٨٢.

ـ يتعلق الامر، أولا، بأن يسلم الكيان الصهيوني بحق الفلسطينيين غير القابل للتفويت في العودة الى وطنهم، بصفتهم شعبا طرد من أرضه الوطنية التي ولد وعاش فيها منذ تاريخ سحيق في القدم.

ـ وثانيا، بأن تسلم اسرائيل بالحق الذى لا رجعة فيه للشعب الفلسطيني في أن يجعل من منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الوحيد والشرعي، بصفتها المؤهلة وحدها للتحدث باسمه والمحاور الذى لا غنى عنه في كل مسلسل للتشاور والتسوية.

ـ وأخيرا، يتعين على اسرائيل أن تتخلى عن المناورات التي تجرى بتنسيق مع الدولة العظمى، الولايات المتحدة الامريكية، وأن ضرورة الدعوة لمؤتمر دولي حول الشرق الاوسط، بمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية وكل الاطراف العربية والاجنبية المعنية أو المهتمة، من أجل اقرار حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والتوصل الى الانسحاب من كل الاراضي العربية المحتلة منذ ١٩٦٧، وذلك مقابل الاعتراف بالحق في الوجود لكافة دول المنطقة.

وما دامت اسرائيل وسندها الامبريالي يرفضان اعطاء الاعتبار لهذه المعطيات الاساسية، فلا مفر من التخوف بان مسعاهما، القائم على المراوغة وزرع الاوهام، لا يرمي الا الى هدف واحد هو: مضاعفة الانقسامات العربية، وبث مزيد من الضعف في الموقف العربي، وصولا الى فرض "حلول" مطبوخة وسلبية.

وان في التجربة المصرية لدروس غنية بهذا الخصوص! لذلك، وبكل روح من المسؤولية والرشد، نعتبر أن الساعة هي ساعة العمل من أجل تقوية الصفوف العربية، ساعة العمل في سبيل عودة الوئام والوفاق الى صفوف الثورة الفلسطينية، ساعة رفض

المشاريع الامبريالية ـ الصهيونية، والاتجاه الى فرض حل مشترك، عادل ومتوازن، انه الحل الذى اقترحته ووضعت أسسه قمة فاس، والذى حظي بتأييد واسع على الساحة الدولية.

لذلك، اذا كان من المحمود الاخذ بزمام الطليعة وكسب قصب السبق الى العمل، فمن الاجدر الاحتراس من التحرك في عزلة.

"البيان"
العدد ٣٣٩١ / ٢٤ يوليوز ١٩٨٦

"المسار"

الثورة الفلسطينية... عربية العمق والامتداد

شمعون بيريز، رئيس وزراء العدو الصهيوني، قام بزيارة مباغتة لايفران على أرض المغرب في ٢٢ و ٢٣ يوليوز.

وبقطع النظر عن شكلها ومضمونها وأهدافها ونتائجها التي لازالت ـ وستبقى ـ محط ردود أفعال مختلفة ومتباينة، وبقطع النظر عن العواقب التي ستؤدى اليها سواء على الصعيد العربي أو الدولي، فان "الزيارة" ـ كما أصبح يصطلح عليها ـ قد أثارت في حد ذاتها ولاول وهلة الدهشة والذهول لما خلفته من صدمة للمشاعر القومية السائدة وسط جماهير شعبنا وفي أرجاء وطننا.. هذا الشعب وهذا الوطن اللذان يشكلان جزءا لايتجزأ من الامة العربية والوطن العربي.

ذلك أننا كمغاربة وعرب، وسواء رجعنا الى التاريخ أو الجغرافية أو الاوضاع والاحداث الراهنة، سواء حكمنا عواطفنا أو عقولنا وبكل واقعية وبعيدا عن أية مثالية أو رومانسية، ستبقى حقيقة واحدة واضحة عالقة بأذهاننا وراسخة في عمق ضمائرنا وذاكرة آبائنا وأبنائنا البعيدة والقريبة، وهذه الحقيقة هي: ان الكيان الصهيوني القائم على ايديولوجية عنصرية استعمارية استيطانية عدوانية توسعية، أثبت على مر أربعين سنة بحروبه العدوانية وحملاته الارهابية ضد الشعب العربي الفلسطيني والامة العربية، أنه عدو لدود لهذه الامة يستهدف مصيرها وكيانها،

بالاضافة الى أن الامبريالية العالمية قد زرعت هذا الكيان في جسم الوطن العربي لاستخدامه كأداة سرطانية لسيطرتها واحكام قبضتها على أمتنا وخيراتها واعاقة تقدمها ورقيها ووحدتها.

وأثبتت التجربة المريرة للعرب مع العدو الصهيوني أن هذا الاخير لايلوح بالسلام الا عندما يكون في أوج قوته للاعداد لعدوان جديد وضم المزيد من الاراضي العربية. كما أثبتت نفس التجربة أن هذا العدو المقيت لايؤمن بالحوار ولابالتفاوض ولابالحلول السلمية بل انه لايصغي الا لمنطق القوة الذى يعمل به هو ذاته.

وهذا ما فهمه جيدا الشعب العربي الفلسطيني حينما فجر ثورته في الفاتح من يناير ١٩٦٥. وقد تبين على مدى السنين وخاصة بعد نكسة ١٩٦٧، أن الثورة الفلسطينية اذا كان لها امتداد وعمق عربيان لقادرة على ردع العدو وتحطيم أسطورة الجيش الاسرائيلي الذى لايقهر، وهذا ما أثبتته سنة فقط بعد النكسة، في معركة الكرامة.

ان مشاريع "السلام" في الشرق الاوسط الامريكية والامية والاوروبية والعربية لاحصر لها وكلها فشلت لحد الان. والحوار أو الصلح المنفرد مع اسرائيل لم يكن ولن يكون مصيره سوى الفشل. فمبادرة السادات أثبتت هذه الحقيقة.. كما أكدتها الاتصالات السرية أو العلنية مع العدو الصهيوني.

لان طبيعة العدو ككيان عدواني توسعي وكرأس جسر للامبريالية العالمية لا زالت قائمة ولازالت ثابتة ولايمكن أن تتغير، فـ"السلام" بالنسبة لاسرائيل لازال يعني مسألة واحدة وهي "الاستسلام".

والعدو الصهيوني الذى يصف المقاومة الفلسطينية بـ"الارهاب" لايمكن أن يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية لان ذلك سيعني بالنسبة اليه الاعتراف بشرعية الكفاح الفلسطيني التحررى والاعتراف في نفس الوقت بأن الكيان الصهيوني كيان استعمارى في حين أن العدو عمل دوما على اقناع العالم أن له "حقا تاريخيا" في أرض فلسطين ووسيلة اقناعه لم تكن هي الحوار أو المفاوضات، بل الحرب والعدوان وبالمقابل فان اى انفتاح عربي على العدو، كيفما كان شكله ومهما كان محدودا زمنيا وموضوعيا، الا واعتبره العدو اعترافا بالكيان الصهيوني وتراجعا أمام ذلك "الحق التاريخي" الذى يتناقض ويتنافى كلية وتاريخيا مع حقوق الشعب الفلسطيني وحقوق الامة العربية جمعاء.

ودون أن يكون العرب دعاة حرب، فمن حقهم أن يعملوا هم أيضا بالمبدأ القائل: "ان خير وسيلة للسلام هو الاستعداد للحرب".

أما المساعي السلمية في ظل التمزق العربي وشرذمة م.ت.ف. واعتداء أنظمة عربية عليها وفي ظل ميزان قوى لصالح العدو، لن تؤدى الا لمزيد من التشتت والتمزق والضعف والبلبلة التي قد تتحول الى منزلق للحلول الاستسلامية ومرتع لها.

وبهذا الصدد فان الاعتراف بمنظمة التحرير كممثل وحيد وشرعي الذى أقره مؤتمر قمة ١٩٧٤ يجب تكريسه قبل كل شيء في ميدان المقاومة والكفاح الذى خاضه ويخوضه الشعب الفلسطيني للعودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية الديموقراطية والعلمانية.

وهنا فان العمق القومي المستعد للعطاء والتضحية في سبيل الكفاح من أجل تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة، هو الذى أصبح يطرح نفسه من جديد وبالحاح.

والاعتراف بـ م.ت.ف. كممثل شرعي ووحيد واحترام استقلالية القرار الفلسطيني، يجب ترجمتهما على أرض الواقع وعلى جميع المستويات: على مستوى الكفاح المسلح بما يقتضيه ذلك من تضامن ودعم أولا، ثم على المستوى السياسي والدبلوماسي في المؤتمرات الدولية أو الامية الساعية الى احلال السلام في الشرق الاوسط.

وهذا المبدأ يقتضي التنسيق والتشاور العربي في كل خطوة قد يكون لها تأثير على مسار القضية العربية والفلسطينية.

ومما يمليه هذا المبدأ نفسه والموقف الراهن هو عمل كل ما يجب عمله لتوقيف أى "مسلسل" يخرج عن هذه القاعدة ومحو كل الاثار والعوامل السلبية التي قد تزيد من تصدع الصف العربي، وليبقى شعبنا ووطننا كما كانا دائما في الخطوط الامامية لكفاح الامة العربية من أجل تحرير فلسطين وباقي الاراضي المحتلة.

وفي هذا الاطار وكما قال أحد الصحفيين الفلسطينيين تعقيبا على زيارة رئيس وزراء العدو الصهيوني لايفران: "انني مطمئن على عروبة الشعب المغربي وتشبثه بالقضية الفلسطينية"، فاننا في هذا الظرف الدقيق نؤكد كحركة تقدمية ـ ولا نعتقد متواضعين أن ذلك في حاجة الى تأكيد ـ تأييدنا المطلق وبدون قيد ولا شرط للثورة الفلسطينية بقيادة م.ت.ف. موحدة بكافة فصائلها المناضلة، التي نعتبرها طليعة لكفاح الامة العربية من أجل تحرير فلسطين والاراضي المحتلة وتحرير الانسان العربي ورقيه وازدهاره.

"المسار"

العدد ٣٨ / ٣٠ يوليوز ١٩٨٦

حول زيارة شمعون بيريز للمغرب

يوم ٢٢ يوليوز، حل رئيس وزراء الكيان الصهيوني، شمعون بيريز، على رأس وفد هام من الشخصيات الاسرائيلية بأرض المغرب في زيارة رسمية. وبذلك، جعلت الطبقة الحاكمة المغربية من بلادنا، ثان بلد عربي ينفتح للتعامل العلني المكشوف مع الكيان الصهيوني.

ان هذه الخطوة الخطيرة، التي تشكل طعنا للانتماء القومي الاصيل لشعبنا، تأتي لتكرّس وتعمق الشروخات البليغة القائمة في الوضع العربي ولتزيد من حالة التفتت السائدة كاطار عام لتسهيل وتقديم تنفيذ المخططات الصهيونية الامبريالية ازاء الوطن العربي في اتجاه تصليب هيمنة وتسلط التحالف العضوى والمصيرى للامبريالية والصهيونية والرجعية العربية، على مقدّرات ومصير هذا الوطن واستباحته لخدمة الاستراتيجية الامبريالية العدوانية ضد الشعوب.

ان الطبقة الحاكمة المغربية، باقدامها على خطوة التعامل العلني المكشوف مع العدو الصهيوني، لا تحيد ولو قيد أنملة، عن نهجها الاصيل والثابت في التعامل مع السيادة الوطنية مغربيا وعربيا ودوليا. فالمساومة والتفريط بهذه السيادة، في اطار الارتباط العضوى بالامبريالية العالمية، شكل العنوان الدائم لسياسة الطبقة الحاكمة داخليا وخارجيا:

داخليا: من خلال تكريسها لواقع التبعية والهيمنة الامبريالية على المغرب واباحة استعمال ترابه وموقعه الاستراتيجي للعدوانية الامريكية عبر التسهيلات العسكرية الممنوحة لها والقواعد العسكرية التي تمتلكها على امتداد التراب الوطني،

خارجيا: من خلال توظيف سياستها وتحركها الخارجي لخدمة الاستراتيجية الامريكية من أبسط الادوار الدبلوماسية والسياسية الى التدخل المباشر كما وقع بالزايير مرتين، مرورا بخدمة المخطط الامريكي/ الصهيوني على المستوى العربي، كما كان الشأن في التمهيد لخطوة السادات واتفاقية كامب ديفيد، وكما هو الحال اليوم عبر المبادرة الاخيرة.

واذا كانت الطبقة الحاكمة تحاول اليوم التقليل من شأن هذه الخطوة وخطورتها، بالتركيز على ما سمي بطابعها الاستطلاعي وعدم تمخضها عن التزامات أو اتفاقات ملموسة، فلكي تموه عن الهدف الحقيقي للزيارة، الذى هو تكريس وتقنين سياسة مد الجسور العلنية مع العدو الصهيوني والاعتراف الرسمي به لطيّ مرحلة التعامل السرى معه ولتقديم مسيرة التسوية التصفوية لقضية الشعب الفلسطيني وضرب طموحه المشروع في اقامة دولته الديمقراطية الوطنية المستقلة.

وما من شك في أن التجرؤ على خطوة خطيرة من هذا النوع، ما كان ليكون لولا حالة التردى المريعة التي تعرفها الاوضاع العربية على كافة المستويات:

ـ تدهور أوضاع المقاومة الفلسطينية، كنتيجة مباشرة للاجتياح الاسرائيلي للبنان من جهة، ومن جهة ثانية كمآل طبيعي لسياسة التفريق وتغذية الخلافات والاقتتالات داخل الصف الفلسطيني الواحد وازدهار سياسة المحاور داخله، على أساس ارتباط بهذا النظام العربي أو ذاك.

ـ توسع وتشدد النفوذ والتسلط الامبرياليين على المنطقة العربية، عبر تكثيف القواعد والارتباطات العسكرية وتعميق التبعية الاقتصادية والسياسية، ومن خلال التغذية المنهجية والذكية لخلافات وحروب الانظمة، واشعال فتائلها هنا وهناك من مغرب الوطن العربي الى مشرقه.. هذه السياسة التي تشكل الحرب المدمرة العراقية/ الايرانية أسطع تجسيد لها.

ـ تنامي الاستبداد السياسي في الوطن العربي، بمختلف أنماطه وأشكاله، وتقوية الاجهزة القمعية السلطوية، وتشديد خناقها على الجماهير وما ينجم عن ذلك من تردى لاوضاع حقوق الانسان واهدار للحريات الديمقراطية.

ـ ضعف فاعلية القوى الثورية العربية وتأثيرها، بحكم الارهاب والتطويق القمعي المسلط عليها من جهة، ومن جهة ثانية بحكم عدم تمكنها بعد من بلورة

بدائل سياسية وتوجيهية وتنظيمية تتوّج بشكل ايجابي المخاض العسير الذى تعيشه هذه القوى.

ان تداخل وتفاعل مختلف هذه العوامل يفتح دون شك الباب على مصراعيه أمام مختلف التجاوزات والتحديات، اذ في ظل مثل هذا الوضع تصبح الواقعية الاستسلامية علامة "نضج وتعقّل"، في حين أن الخيار الوطني الادنى ــ ان صح تعبير الادنى في مسألة الوطنية ــ يصبح ضربا من "المثالية" و"المغامرة".

ان استحضار مختلف هذه العوامل أمر ضرورى وأساسي كخطوة أولى للتصدى للمستجدات الخطيرة الاخيرة، ولتلافي ردود الفعل العاطفية التي تبقى بالضرورة ردودا سطحية وظرفية. ويكفي هنا استحضار مبادرة السادات واتفاقيات كامب ديفيد ومختلف ردود الفعل التي صاحبتها وتلتها، وكيف أنها وحتى بعد مقتل منفذها الرئيسي لا زالت حية ومستمرة.. لادراك حقيقة أساسية، هي أن أية مواجهة للوضع الجديد، لكي تكون مواجهة فاعلة وصحيحة، لا بد وأن تتصدى للموضوع في شموليته وفي عمقه الحقيقي.

من هذا المنطلق الواضح، فان توفير شروط تصدّ ومواجهة فعليين للتحدى الجديد/ القديم، الذى يواجه الامة العربية، يمر بالضرورة عبر مدخل جوهرى لامحيد عنه، عماده محوران متداخلان ومترابطان:

أولا: العمل على اعادة بناء وحدة الصف الوطني الفلسطيني حول وفي اطار منظمة التحرير الفلسطينية، على قاعدة مقررات المجالس الوطنية واتفاقات عدن / الجزائر. ان هذا التوجه يقتضي اعادة الاعتبار لمبادئ أساسية طالها الكثير من العبث والنيل في السنوات الاخيرة، ألا وهي استقلالية القرار الفلسطيني، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للمقاومة الفلسطينية، أو محاولة فرض الحجر والوصاية عليها من أية جهة كانت، اذ أن المقاومة الفلسطينية قادرة على معالجة تناقضاتها الداخلية ــ والتي من الطبيعي أن تعيشها ــ خاصة بما تمتلكه من رصيد متقدم في سيرها الديمقراطي الداخلي.

ثانيا: بلورة عمل تنسيقي متدرج وفعّال بين مختلف مكوّنات حركة التحرر الوطني العربية، على قاعدة الاحترام الكامل لاستقلالية كل فصيل منها، والدعم الفعلي الملموس لنضالها وتحركها، وأساسا الحرص على عدم التضحية بها على محراب التقاربات الظرفية للانظمة والمصالح الانية للدول.

ان العمل على واجهة هذين المحورين، في اطار تعزيز وتقوية العلاقة مع معسكر قوى التحرر والتقدم والاشتراكية، لهو المدخل الصحيح لرأب الصدع الحاصل

في الصف العربي ولردع مسلسل الارتداد والتراجع وللجم القوى العميلة للصهيونية والامبريالية.

وأخيرا، فان ما يجب التأكيد عليه وبشدة، هو أن الجماهير الشعبية المغربية بحسها الوطني الصادق ومعاناتها اليومية الملموسة، لن تنطلي عليها التناورات مهما كانت درجة احباكها واخراجاتها، فهي على الرغم من استلاب سيادتها الوطنية والشعبية، عبرت أكثر من مرة وبالملموس عن قدرتها واستعدادها للنضال والتضحية من أجل مطامحها المشروعة. والقوى المغربية الوطنية تدرك هذه الحقيقة الثابتة الاصيلة وتنطلق منها رغم كل العراقيل والصعوبات القائمة.. ومن ثم، فان موقف الحركة الوطنية المغربية المخلصة، هو الادانة الواضحة لزيارة رئيس وزراء الكيان الصهيوني لبلادنا، ذلك أن الوطنية لا تقبل أنصاف الحلول ولا المساومة، بل انها تجسّد ذلك الخط الفاصل بين خندقين: خندق الامبريالية والصهيونية وحلفائهما المحليين من جهة، وخندق الشعوب وقواها الوطنية الحقة من جهة ثانية.

"الوطن"
ملحق العدد ٢ / ٣١ يوليوز ١٩٨٦

المحتويات

مقدمة 5

١ ــ السوابق التاريخية 7

- تهجير اليهود المغاربة الى فلسطين المحتلة
- جهاز الموساد يضع اسس المخابرات المغربية
- حزيران ٦٧ : البواخر الاسرائيلية تتزود في موانىء المغرب
- اطارات صهيونية بمال المغاربة

٢ ــ القادة الصهاينة يتوافدون على المغرب 13

- ١٩٦٩/١٩٧٠ : بداية الاتصالات المباشرة
- اكتوبر ١٩٧٦ : زيارة اسحاق رابين
- تل ابيب/الرباط: طريق سالكة في الاتجاهين
- ١٩٧٧ :موشي ديان في المغرب
- مابعد كامب ديفيد

٣ ــ في اتجاه التطبيع 25

- ماى ١٩٨٤ : موءتمر صهيوني علني في المغرب
- ادوار اليهود "المغاربة" : الطابور الخامس
- اهداف قمة ايفران

خاتمة 33

٤ ــ لقاء ايفران : تعليقات ومواقف 39

لقد جاءت زيارة رئيس الوزراء الصهيوني شمعون بيريز الى المغرب في ٢٣/٢٢ يوليو ١٩٨٦ تتويجا لمسلسل طويل من الارتباطات ما بين قادة الكيان الصهيوني والنظام المغربي. وقد شهدت السنوات الاخيرة على وجه الخصوص تكثيفا مميزا للاتصالات والزيارات والاجتماعات، السرية منها والعلنية، ما بين السلطات المغربية ورموز الحركة الصهيونية العالمية واسرائيل بشكل خاص.

وليس من قبيل الصدف ان يترامن تكثيف العلاقات المغربية الاسرائيلية هذا مع تركيز وتقوية الوجود الامريكي في المغرب.. فالقاعدة التي تقوم عليها تلك العلاقات هي بالذات قاعدة التحالف بين النظام المغربي والامبريالية الامريكية، والغرب على وجه العموم.

على ان لهذه العلاقات نفسها بعض المميزات الخاصة بل والمثيرة: فنحن امام ثلاثين عاما من الارتباطات والاتصالات والخدمات المتبادلة على مختلف المستويات، بدءا من النشاط اليومي الذي يخوضه اليهود "المغاربة" لخدمة الصهيونية، وصولا الى لقاءات القمة، مرورا بشتى ادوار الوساطة والتحضير التي ما انفك النظام المغربي يتولى القيام بها قبل وبعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد على حد السواء.

ومن اجل تتبع وتحليل وقائع العلاقات المغربية الاسرائيلية ومراحل تطورها، اعتمدنا في هذا الكتاب منهج الرصد التاريخي، مرتكزين في ذلك على المادة الوثائقية المتوفرة من مذكرات ومقالات ومقابلات صحفية.. متوخين بالدرجة الاولى تجميع اهم ما هو معروف لحد الان عن علاقات النظام المغربي بالكيان الصهيوني، واعادة تركيب صورة كانت لحد الان مجزأة، وهذا ما سيسمح بتدقيق النظرة الى ابعاد وامتدادات التوغل الصهيوني في بلادنا ووطننا وما يفرضه من مهام ازاء الشعبين الفلسطيني والمغربي وازاء القضية العربية بشكل عام.